دور الأسرة في تطبيق
الشريعة الإسلامية

أ.د. بشير صالح الرشيدي

دور الأسرة في تطبيق

الشريعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور بشير صالح الرشيدي

أستاذ بكلية التربية - جامعة الكويت

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

طبعة خاصة باللجنة الاستشارية العليا

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً

لتسكنوا إليها وجعل بنكم مودة ورحمة إن في ذلك

لآيات لقوم يتفكرون " . " الروم : ٢١ "

إهداء ،،

إلى أخي الدكتور خالد مذكور المذكور . .

عرفتك ملتزماً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، محباً لوطنك ، مستثمراً علمك ووقتك في سبيل دينك .

لقد تعلمت منك الكثير منذ ما يقارب ثلاثين عاماً ، وما زلت لك تلميذاً ، فاقبل مني بعضاً من ثمار غرسك .

بشير صالح الرشيدي

المحتويات

تصدير

الحمـد لله ، والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله ، وآلـه ، وأصـحابه ومن إلاه ، وبعد..

فإنـه لا يشـك منصـف عـرف هـذا الـدين فـي أنـه إنمـا نـزل لرعايـة مصـالح العبـاد فـي العاجـل والآجـل ، وأن إصـلاح الإنسـان فـي هـذه الـدنيا مـرتبط باسـتجابته لشـرائه الله تعـالى، ولا يسـعف الإنسـان – إن هـو تخلـى عـن شـرائع الله – أيـة محـاولات أخـرى يمكـن أن تعوضـه عـن ديـن الله تعـالى لأن وصـفات البشـر وإفـرازاتهم الفكريـة ، والتنظيميـة مهمـا سـمت ، وارتقـت ، لا يمكـن أن تبلـغ مرتبـة الشـرع الإلهـي ، بـل تظـل عرضـة للثغـرات والهفـوات والعيـوب وصـدق الله عـز وجـل إذ يقـول فـي كتابـه الكـريم الـذي هـو أصـل شـرائع هـذا الـدين " أفـلا يتـدبرون القـرآن ولـو كـان مـن عنـد غيـر الله لوجـدوا فيـه اختلافـاً كثيـراً " (النسـاء : ٨٢). ويقـول الرسـول المصـطفى فـي وصـف هـذه الشـريعة الإسـلامية السـمحة " تـركتكم علـى البيضـاء ، ليلهـا كنهارهـا ، لا يزيغ عنها بعد إلا هالك " (رواه بن ماجة)

ومـن خصـائص هـذا الـدين أنـه جـاء عامـاً لكـل النـاس، شـاملاً بنصوصـه وأحكامـه كـل جوانـب الحيـاة، قـال الله عـز وجـل " قـل يـا أيهـا النـاس إنـي رسـول الله إلـيكم جمعيـاً " (الأعـراف : الآيـة ١٥٨)، وإذا كـان

الإسلام بمثل هذا العموم والشمول، فلا غرابة أن نجده يهتم بالأسرة ذلك الاهتمام البالغ.

والأسرة – كما هو معلوم أساس المجتمع – يرقى برقيها ، وينحط بانحطاطها. وتتبدى رعاية الإسلام للأسرة بتلك الأحكام ، والشرائع الناظمة لشأن الأسرة وتلك العظات والنصائح التى أرشد إليها في صياغتها ورعايتها والعناية بها.

وإدارة البحوث والدراسات في اللجنة الاستشارية العليا – إنطلاقاً من خطتها في تهيئة الأجواء لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، تقدم للقراء الكرام إصدارها الثالث عشر ، وهو " دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية " وهو من تأليف الأستاذ الدكتور/ بشير صالح الرشيدي.

وسيجد القارئ في هذا الكتاب ملامح الشريعة الإسلامية في رعاية الأسرة والأخذ بيدها إلى المستوى المثل الذي يؤدي بدوره إلى رقي الأمة وقوتها ومجدها،والله نسأل أن يأخذ بيد الجميع لما يحب ويرضى ، ويحقق لهذه الأمة أسباب عزتها وكرامتها ، وأن يرحم شهداءها ، ويفك قيد أسراها ، أنه على كل شئ قدير.

إدارة البحوث والدراسات

اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال
تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية

تقديم

بقلم الدكتور / عبد الله معتوق المعتوق

الحمد لله الذي هدانا بنور العلم ، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الإنسانية وخاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد،،

فقد جاء التشريع الإسلامي لإصلاح الفرد والجماعة، بما يحقق لهم النفع والسعادة في الدنيا والمثوبة والرضوان في الآخرة وبين الناس طريق الخير ليفعلوه، كما بين طريق الخير ليفعلوه كما بين لهم طريق الشر ليجتنبوه، فمن اتبع هدي الإسلام فاز وعز ، ومن ابتعد عنه خاب وضل. ولما كان الله عز وجل هو العالم بما يصلح شئون عباده فقد شرع لهم ما يصلحهم ، وحملوا أمانة الالتزام بهذا التشريع.

وما جاء به التشريع الإسلامي ما يتعلق " بالأسرة " باعتبارها أساس المجتمع الإنساني ويتوقف على صلاحها صلاح هذا المجتمع فالترابط بين الأسرة والمجتمع هو ترابط عضوي ، والزواج أساس الأسرة وقوامه المودة والرحمة :" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً

لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "

(الروم : ٢١)

لقد اخبرنا الله عز وجل بأنه جعل المودة والرحمة بين الزوجين ،ليسكن كل منهما إلى الأخر ، ولينجبا الذرية الصالحة بما يكفل استمرار النوع الإنساني إلى ما شاء الله.

والأسرة ليست مجرد إشباع لحاجات فطرية إنها بجانب ذلك تنظيم اجتماعي تقع عليه مسؤولية الالتزام بما شرعه الله ، فإذا التزم أفراد الأسرة بهذا الشرع كان ذلك وفاء بمسؤوليتهم الاجتماعية في بعدها الديني والدنيوي على السواء ، وتأثير الأسرة في شخصية الفرد له خصائص العمق الزمني ، مثلما له خصائص الاتساع الموضوعي والسلوكي ، بما يجعل الأسرة ذات إمكانيات هائلة في تشكيل شخصية الفرد من كافة الجوانب بما في ذلك الجانب الديني هذه " الإمكانيات الهائلة " تقابلها

" مسئولية هائلة " فيما يتعلق بالالتزام بما جاء به الدين . هذا الالتزام هو ما يجسد دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية.

في هذا الإطار يسعدنا أن نقدم لقرائنا الأعزاء كتاب " دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية " لمؤلفه الدكتور / بشير الرشيدي أستاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت .

لقد استمعت بقراءة هذا الكتاب ، ووجدت فيه إضافة حقيقة إلى المنتوجات الفكرية التى تتم في إطار العمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي منذ أن صدر المرسوم الأميري الكريم بتشكيل لجنة عليا لهذا الغرض في العام ١٤١٢ هجرية الموافق ١٩٩١ ميلادية.

يبدأ الكتاب " دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية (بالفصل الأول تحت عنوان " حول مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت)وينطلق هذا الفصل من فكرة أساسية هى علاقة التأثير والتأثر المتبادلين بين الأسرة والمجتمع ، وبالتالي فإن فعالية الأسرة تجاه القضايا المختلفة تتأثر بظروف المجتمع وما فيه من مواقف ، كما أن فاعلية المجتمع تجاه القضايا نفسها إنما هي ناتج فعاليات أفراد الأسرة التى يتكون منها هذا المجتمع ، بطبيعة الحال هناك عوامل وسطية بمعنى ان تلك العوامل (تتوسط) علاقة الأسرة بالمجتمع ، وتؤثر فيهما بدرجات متفاوتة، وبالتالي في موقفهما وقدراتهما بشأن القضايا العامة أو القضايا الجوهرية .

وفى تناول الفكرة يقوم الفصل الأول من الكتاب على الموضوعية والارتباط اللصيق بالواقع الكويتي ، ويتعمق المؤلف في مناقشة الفكرة من

العام إلى الخاص ، من الكلي إلى الجزئي – في سياق تحليلي علمي ليصل إلى الإجابة على تساؤل رئيسي هو أين الحقيقة ؟ ومن هذه الحقيقة يصل إلى جوهر الموضوع الذي يتناوله الكتاب . والحقيقة التي يبينها الكاتب تتلخص في أن اختلاف الرؤى والأطروحات حول تطبيق الشريعة الإسلامية في أي مجتمع هو أمر طبيعي ، كما أن هذا الاختلاف في المجتمع الكويتي – كمجتمع مسلم – ليس اختلافاً حول الدين ولكنه يفسر في ضوء مدى الإلمام بالشريعة ومدى استيعاب الظروف المجتمعية المختلفة وطبيعة الخلفية الفكرية والثقافية للأفراد وتجاربهم المباشرة وغير المباشرة .كل ذلك شكل (صورة ذهنية) معينة عن الشريعة عند تطبيقها . إن لدى كل فرد صورة ذهنية معينة عن القضايا والموضوعات والأشخاص تختلف عن نظيرتها لدى الآخرين ، وإذا كانت طبيعة الصورة الذهنية عن أية قضية تختلف من فرد إلى آخر ، فمعنى ذلك وجود نوع م الاختلاف حول بعض جوانب القضية حتى ولو كان هنا اتفاق على الأساسيات.

ومن واقع تحليل الرؤى والأطروحات حول تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي يخلص الكاتب إلى ان الصورة الذهنية لأصحاب هذه الرؤى . والأطروحات هي صورة جزئية أو مختزلة فالشريعة أعم وأشمل من مجرد تطبيق الحدود ، أو منع الاختلاط ....

إلـخ ، إن الشـريعة تشـمل كـل حيـاة الإنسـان : المحسوسـة وغيـر المحسوسـة ، الظـاهرة والمسـتترة ، وعليـه فـإن تطبيـق الشـريعة الإسـلامية لا يكـون بمجـرد قـرار سياسـي وكفـى وإنمـا لابـد مـن تعميـق هـذا التطبيـق مـن خـلال التنظيمـات الاجتماعيـة بمـا فـي ذلـك هـذا الوسـط الاجتمـاعي الـذي يسـتقبل الفـرد منـذ ولادتـه ويظـل ملازمـاً لـه طـوال حياتـه ، فكـأن هـذا الوسـط الاجتمـاعي هـو المناسـب والشـامل ممـن حيـث التـأثير فـي حيـاة الفـرد ، فهـو بذلك يلتقى مع مقتضيات تطبيق الشريعة.

ولكن ما هو الوسط الاجتماعي الذي يعنيه مؤلف الكتاب ؟

إن هـذا الوسـط هـو " الأسـرة " ويصـفها المؤلـف بأنهـا (العمـلاق الغائـب) ويـرى أن أصـحاب الـرؤى والأطروحـات المتعلقـة بتطبيـق الشـريعة الإسـلامية قـد غـاب عـن أذهـانهم وجـود ذلـك العمـلاق الـذي يـلازم كـل فـرد بكـرة وعشـيا، منـذ مـيلاده وحتـى مماتـه، إنـه عمـلاق فـي الوجـود ، عمـلاق فـي التـأثير والنتيجـة ، وسـوف يجـد كـل المباركـة والتشـجيع إذا ما سارت خطواته في طريق التربية والتنشئة وفق الشريعة الإسلامية.

أمـا الفصـل الثـاني مـن الكتـاب فيجيـب علـى تسـاؤل رئيسـي: مـا هـي دلالـة الشـريعة الإسـلامية للأسـرة ؟ ويتضـمن الفصـل إجابـة دقيقـة عـن هـذا السـؤال.حيث يبـدأ بتحديـد مفهـوم الشـريعة الإسـلامية باعتبارهـا " مـا شـرعه

الله لعبـاده مـن العقائـد والعبـادات والأخـلاق ونظـم الحيـاة لتحقيـق سـعادتهم فـي الـدنيا والآخـرة " وفـى هـذا الإطـار يوضـح المؤلـف طبيعـة الشـريعة الإسـلامية ومـا تتضـمنه مـن أحكـام ضـرورية وحاجيـة وتحسـينية، مـع تبيـان دلالـة ذلـك للأسـرة ثـم يعـرض الكتـاب لمسـألة أشـد دلالـة وهـي خصـائص الشـريعة ودلالتهـا لـدور الأسـرة فـي تطبيـق هـذه الشـريعة وتتمثـل هـذه الخصـائص فـي: الربانيـة ، الأخلاقيـة ، الواقعيـة ، الإنسـانية ، التناسـق ، الشـمول ، لقـد عولجـت هـذه الفكـرة بمنطقيـة وبلاغـة مـن حيـث دلالتهـا للأسـرة حيـث تـم توظيـف الأسـلوب المعـروف " بتحليـل مسـار البرهنـة " بالاعتمـاد علـى مـا ورد فـي الكتـاب والسـنة ، وذلـك مـن أجـل توضـيح فكـرة رئيسـية وهـى أن خصـائص الشـريعة الإسـلامية تـرتبط بمقاصـدها وغاياتهـا ويتلاقـى الاثنـان علـى اتجـاه واحـد هـو إسـعاد الأسـرة ، أي إسـعاد المجتمـع وإسعاد البشرية.

وفـى الجزئيـة الأخيـرة مـن الجـزء الثـاني ينـاقش الكتـاب موقـع الأسـرة فـي دائـرة اهتمـام الـدين الإسـلامي ، وذلـك تحـت عنـوانين فـرعيين ، الأول :أهميـة الـدين فـي حيـاة الأسـرة : والثـاني : خصـائص اهتمـام الشـريعة الإسـلامية قـد شـملت حيـاة الأسـرة مـن كافـة الجوانـب ، والشـريعة فـي ذلـك تلبي حاجات الأسرة لتحيا حياة طيبة مادياً ونفسياً.

ولتوضيح أهمية هذه الفكرة للمجتمعات المعاصرة يستعين الكاتب بنتائج الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة التى قام بها علماء بارزون في المجتمعات الغربية العلمانية والتى يعترفون فيها بأن الأسرة في هذه المجتمعات لن تستقيم أمورها بغير الدين ، ومن خلال تخصصه الأكاديمي – كأحد علماء النفس الكويتيين – يوضح الكاتب أن الدول الغربية العلمانية التى تحصر الدين في أضيق الحدود ، أدركت خطورة ذلك وفداحته على الفرد والمجتمع ، وأصبح هناك اتجاه قوي في الإرشاد والعلاج النفسي يقوم على الدين في التعامل مع مشكلات الأسرة والأفراد.

أما العنوان الثاني وهو خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة فيؤكد على أن مشكلات الأسرة المعاصرة لم تكن لتوجد أصلاً لو التزمت بما جاء به الدين لأن الإسلام في اهتمامه بالأسرة جاء بنظرة دقيقة ورؤية فاحصة شاملة بما يضمن سلامتها باعتبارها دعامة المجتمع والحلقة الأساسية في بنائه.

ولكن لماذا كان للأسرة دور أساسي في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية؟ الفصل الثالث من الكتاب يجيب على هذا التساؤل ، أن الإجابة تبدو واضحة وحاسمة من واقع عنوان هذه الفصل (الأسرة سياق اجتماعي فاعل في التأثير على الشخصية) إن الشخصية كمفهوم نفسي

واجتمـاعي، إنمـا تتـأثر بالأسـرة فـي أبعادهـا الوراثيـة والبيئيـة ، فالأسـرة هـي البيئـة الاجتماعيـة والنفسية الأولـى التـي يتخلـق بهـا الفـرد وهـى التـي تـوفر لـه الحمايـة وتقـوم علـى تنشـئته وتشـكيله وفـق ثقافتهـا بمـا فـي ذلـك العـادات والتقاليـد والمعتقـدات والقـيم والاتجاهـات .. ألـخ وتتجسـد الرابطـة الأسـرية كافـة الأسـس التـي يقـوم عليهـا التـرابط الإنسـاني بكـل صـوره وأشـكاله ، مـن جهـة أخـرى فـإن الأسـرة تشـبع حاجـات لا حصـر لهـا لـدى الأفـراد ، سـواء الوالـدين أو الأبنـاء ، وقـد بـين المؤلـف هـذه الفكـرة بعمـق وشـمول واضـحين مـن المنظـور السـيكلوجي وبمـا يؤكـد أن الإسـلام ديـن الفطـرة عنـدما أبـاح الـزواج ووضـع لـه القواعـد والتنظيمـات التـي تكفـل اسـتمراره ونجاحـه ، فالأسـرة تشـبع حاجـات الوالـدين ابتـداء مـن الحاجـة إلـى الاسـتثارة الحسـية مـروراً بالحاجـة إلـى المعرفـة والفهـم ، والحاجـة إلـى الأمـن .. إلـخ وحتـى الـدوافع الجماليـة . كمـا أن الأسـرة تشـبع حاجـات الطفـل إلـى الأمـن ، والحاجـة إلـى الانتسـاب والانتمـاء ، والحاجـة إلـى الحـب والمحبـة والرعايـة والتوجيـه ، والاسـتقلالية واحتـرام الـذات ، وتعلـم المعـايير السـلوكية .. الـخ فالأسـرة إذن تـؤثر فـي شخصـية الفـرد تـأثيراًً شـاملاً وعميقـاً بمـا يجعلهـا فـي موقـع القـوة والنفـوذ فـي تطبيـق الشـريعة إذا أرادت ذلـك ، فهـي ليسـت فـي حاجـة إلـى إلـزام خـارجي وإنمـا فـي حاجـة إلـى إرادة وسـلوك مـن جانـب أفرادها أنفسهم.

أخيراً يأتي الفصل الرابع من الكتاب موضحاً – بأسلوب – لا لبس فيه ولا غموض – كيف تقوم الأسرة بتطبيق الشريعة الإسلامية ، ويتكون الفصل من خمسة مباحث يختص كل منها بجانب معين فالأسرة يمكنها تطبيق الشريعة الإسلامية من هلال إعمال معايير الإسلام في الاختيار الزواجي ، فإذا تم اختيار الزوجين لبعضهما البعض حسب الشروط والمواصفات التى وضعها الإسلام يكون في ذلك ضمان أساسي لصلاح الأسرة ، وعندما يتم الإنجاب يتسع دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية إن عليها مسئولية تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة إسلامية وفى هذه الجزئية يتناول المؤلف مفهوم التربية والتنشئة الإسلامية ، وأبعادها ، وكيف تقوم الأسرة بممارستها بما يتفق مع الإسلام ومع نظريات النمو في الدراسات النفسية الحديثة.

وعلى الرغم من أن غرس مفاهيم العقيدة وممارسة العبادات الإسلامية يدخل في نطاق التربية والتنشئة إلا أن المؤلف قد أفرد لذلك مبحثاً مستقلاً تأكيداً لأهمية غرس العقيدة وممارسة العبادات الإسلامية من جهة ، وتبيانا لدور الوالدين من جهة ثانية ، وفى المبحث الأخير من الفصل الرابع ، يعرض الكاتب لجانب أساسي من جوانب دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية من خلال الالتزام بما قرره الإسلام من حقوق وواجبات متبادلة في إطار الأسرة فهناك حقوق للزوج على الزوجة

، وحقوق للزوجة علي الزوج ، وهناك أيضاً حقوق للوالدين على الأبناء وحقوق للأبناء على الوالدين بجانب الواجبات المشتركة بين أفراد الأسرة في توضيح هذه القضية ينطلق الكاتب من رؤية إسلامية متكاملة مستمدة من القرآن والسنة والاجتهاد وسيرة السلف الصالح.

هذه نظرة عامة على كتاب " دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية" ونود توضيح بعض الجوانب التى تعبر عن رأينا في هذا الكتاب:

(١) الكتاب يمثل إضافة حقيقة، أنه يعبر عن استيعاب دقيق لعلم النفس المعاصر وذلك من منظور إسلامي يرتبط بواقع الأمة الإسلامية بوجه عام والمجتمع الكويتي بوجه خاص ، وما أشد حاجة هذه الأمة إلى علماء بارزين في مجال تخصصهم الأكاديمي وخبراتهم الميدانية ، وثقافتهم الواسعة على أن يتفاعل ذلك مع واقع مجتمعهم بما ينتج عنه العلم النافع للناس.

(٢) والكتاب معالجة فكرية لقضية أساسية تطرح في المجتمعات الإسلامية وهى تطبيق الشريعة في أنظمتها وممارستها ، وقد أكد المؤلف على أهمية الأسرة المسلمة في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية لتكون من هج حياة لكل المسلمين.

(٣)إن استكمال تطبيق الشريعة في الأسرة مهمة شاقة تحتاج إلى التزود المستمر من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لمواصلة عرض القيم الإسلامية ، ورعايتها وتهذيب انحراف السلوك عنها، ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد نجح صلى الله عليه وسلم في إقامة مجتمع الصحابة الذي بدأ بأفراد عرفوا الدين وغرفوا من معينه والتزموا بتعاليمه فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، والمهمة تكون أشق وأصعب في عصر تتدفق فيه الأفكار المتضاربة عبر وسائل الإعلام والتى تبث الغث والسمين وتتصارع فيما بينها للوصل إلى عقول الناس وتشكيل حياتهم الأمر الذي يمثل تحديات حقيقية للمجتمع الإسلامي.

(٤) إن التصدي لتيارات الانحراف الوافدة والتى تستهدف المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى وضوح في الأهداف التربوية المطلوبة من الأسر المسلمة ووضوح كيفية الوصول إلى تحقيق تلك الأهداف ، وهذا الأمر يتطلب الإحساس بالمسئولية تجاه الذرية في تشكيل شخصياتهم الغضة كما ارشد المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال " ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " إن تأثير الأبوين على شخصية الطفل يكون من خلال التفاعل اليومي معه ، والاندماج في شؤونه الحياتية.

(٥) لا شك أن إحداث تغييرات سلوكية في حياة الأفراد يحتاج إلى وجود نماذج بشرية يتعاملون معها وتكون قدوة ، ورغم قناعتنا بأن الكمال لله وحده إلى ان هذا لا يمنع من وجود حد أدنى من الالتزام بالدين وتعاليمه ليكون للكلمات معاني وللممارسات محتوى ومصداقية ففاقد الشيء لا يعطيه فمن أراد ان يغير أبناءه أو من يعول فلابد ان يغير نفسه " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " وهذه الآية الكريمة منهج سلوكي للعلاقة بين الناس وواقعهم ، والدعوة إلى استكمال الشريعة تبدأ من الأفراد وتتفاعل وتترعرع في الأسرة ويرعاها المجتمع .

(٦) إن استكمال تطبيق الشريعة في الأسرة المسلمة هو حماية للأفراد من الانحرافات السلوكية ومحافظة على مشاعرهم وعقولهم من التشتت في متاهات التيارات الفكرية المتضاربة وتنمية لشخصياتهم في مجتمعات متغيرة.

(٧) إن أهمية العمل على استكمال تطبيق الشريعة تأتي من كونها استثمار بعيد المدى فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما معناه : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "فهذا التوجيه يحث على التوجه الصادق نحو الاستثمار في هذه

المجـالات الثلاثـة ، وحيـث إن مجـال الاسـتثمار فـي العلـم والصـدقة محـدود فـإن مجالـه فـي الولـد الصـالح غيـر محـدود ، ولهـذا جـاءت الـدعوة ماسـة إلـى الاسـتثمار البشـري فـي غـرس القـيم الإسـلامية فـي أذهـان الأبنـاء ليكونـوا صالحين يدعون للإنسان في حياته وبعد مماته.

(٨) إن مهمـة تطبيـق الشـريعة الإسـلامية ليسـت أمـراً سـهلاً لأنهـا تبـدأ قبـل الـزواج عنـدما يبحـث الإنسـان عـن شـريك حياتـه ، وعنـدما يضـع معـايير الارتبـاط بـه ، فـإذا كانـت قضـية تطبيـق الشـريعة فـي بيتـه ذات أولويـة فـإن معيـار الـدين يأخـذ أهميتـه فـي تـرجيح الـدين علـى المعـايير الأخـرى ، وإن كان ذلك لا يمنع من توافر كل المعايير الصالحة .

(٩) إن إحـداث نقـلات حضـارية ، فـي حيـاة المجتمعـات لـيس أمـراً سـهلاً وإنمـا يحتـاج إلـى وضـوح فـي الرسـالة التـى يحملهـا ، والهـداف التـى يريـد تحقيقهـا ، والممارسـات التـى يتعامـل بهـا ، والعمـل فـي الأسـرة المسـلمة لاسـتكمال تطبيـق الشـريعة الإسـلامية مـن خلالهـا عمـل جليـل وفضـله عظـيم فهـو مـن الأعمـال الحميـدة التـى تكفـر الـذنوب ، وترفـع الـدرجات فقـد قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم : " إذا انفـق المسـلم نفقـة علـى أهلـه وهـو يحتسـبها كانـت لـه صـدقة " وهـذه النفقـة قـد تكـون مـالاً ينفقـه علـى سـكنه أو إطعـام أهلـه أو تعلـيم أولاده كمـا قـد تكـون وقتـاً يقضـيه فـي بيتـه يلاحـظ أولاده

يعلمهم ويكون لهم مصدر معرفة وقدوة حسنة كما قد يكون الإنفاق جهداً يبذل من أجل الأبناء ليصل بهم إلى مراتب عالية من الخلق وحسن الأدب ، وقد فطن إلى هذا المعنى العالم الكبير المجاهد عبد الله بن المبارك حيث كان مع أخوانه في إحدى الغزوات الإسلامية قال : " أتعلمون أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا ما نعلم ذلك : قال أنا أعلم ، قالوا : ما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه" إن نظرة ابن المبارك ذات قيمة وأهمية في التعامل مع الأسرة المسلمة في ميزان الأعمال.

(١٠) إن استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الأسرة المسلمة ينطلق من كونها عملية تشكيل السلوك الاجتماعي وإعداد الأبناء ليكونوا عناصر صالحة في مجتمعات صالحة ، الانحراف فيها استثناء ، والاستقامة والانضباط أصل ، وهذا العمل يحتاج إلى جهود مضنية وأوقات طويلة يقضيها الإنسان مع أسرته ليساهم في تشكيل تلك الأسرة بالصورة التى يرضى عنها الإسلام .

هذه هي الأفكار التى أردت توضيحها تعليقاً على كتاب " دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية "

ونؤكد على أن هذا الكتاب بمثابة مساهمة فكرية طيبة في مجال استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمع الكويت لكنه ليس كتاباً للأسرة لتستفيد منه في رعاية أبنائها ولهذا أدعو لجنة استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية إلى نشر كتب للأسرة عن كيفية التعامل مع أبنائها وطرق معالجة المشاكل التى تواجه الوالدين،إذ أن ذلك يمثل لبنة في مجال تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية ،وأخيرا فإني لا أملك إلا الدعاء أن يوفق الله المؤلف لاستثمار تخصصه في مجال علم النفس لخدمة وطنه ودينه ، فالله نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

حول مشروع استكمال تطبيق

لشريعة الإسلامية في الكويت

إن الحديث عن دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية يستلزم مناقشة خصائص البيئة الاجتماعية والتيارات الفكرية في الإطار الأوسع لهذا الدور ، فالأسرة لا تنفصل عن المجتمع بما فيه من تيارات فكرية تطرح تصورات معينة بشأن تطبيق الشريعة الإسلامية والأسرة لا تنفصل عن ظروف ومعطيات المجتمع بكامل أبعادها إن رصد وتحليل الجوانب

الأساسية في المجتمع الكويتي فيما يخص تطبيق الشريعة الإسلامية يمثل مقارنة تبين لنا موقع الأسرة من هذا التطبيق ، فمشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي يمثل نقلة حضارية في إطار تجربة متفردة كما ان المشروع يرتبط بالذات الجماعية للأمة ، والمشروع أيضاً تتباين تجاهه المواقف والتيارات .... ما هي الحقيقة المستخلصة من كل ذلك ؟ وأين موقع دور الأسرة في حلبة تطبيق الشريعة الإسلامية ؟ الفصل الحالي يناقش الخطوط العريضة لمشروع استكمال الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي من خلال النقاط الآتية:-

أولاً :تجربة فريدة ونقلة حضارية.

ثانياً :قضية الذات الكويتية.

ثالثاً :التيارات الفكرية المتضادة.

رابعاً :أوجه الاختلافات.

خامساً :تاريخ النظام يثبت صدق التوجه وسلامة النتائج.

سادساً : أين الحقيقة؟

سابعا : الأسرة : ذلك العملاق الغائب.

أولاً : تجربة فريدة ونقلة حضارية:

تعيش الكويت في حاضرها مرحلة تاريخية متميزة فقد حررها الله من براثن العدوان الغاشم الآثم وأعاد إليها سيادتها وعزتها ومجدها لتستأنف مسيرة التنمية والديمقراطية التى تميزت بها عن سواها من دول الجوار ، فكانت منارة حرية ودوحة رخاء ، وواحة أمن اجتماعي ووحدة وطنية من خلال التعدد وقد توجت هذه المرحلة التاريخية بإصدار مرسوم تشكيل اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وجاءت تبعيتها للديوان الأميري ونص المرسوم على مهمتها بأن (تتولى اللجنة وضع الخطط لتهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مع مراعاة واقع البلاد ومصالحها ، ولها في سبيل ذلك دراسة القوانين السارية في مختلف المحالات واقتراح ما تراه بشأنها لضمان توافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية) وهذه نقلة حضارية تخطوها دولة الكويت لتأكيد هوية الأمة من خلال العمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

ومشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي يأخذ أهميته أيضاً من خصوصية هذا المجتمع ونظام الحكم فيه. فالمجتمع الكويتي مجتمع مسلم تمارس فيه الديمقراطية بكل أشكالها

وتعرف به الحرية بإيجابياتها وسلبياتها ولهذا فإن مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية لم يأت على صورة ثورة اجتماعية أو شعارات سياسية تغييريه وإنما جاء كحلقة من سلسلة التنمية في المجتمع الكويتي واستكمال جوانب القصور فيه لكي ينعم هذا المجتمع بمزيد من ثمار التنمية مادياً ومعنوياً ، إن الأفكار والممارسات التى تطرح في المجتمعات الديمقراطية بناء على حكمة ودراسة تأتي دائماً في إطار العمليات التنموية الطموحة لتحقيق أهداف الشعوب في مسارها المتصل نحو الاستقرار المادي والنفسي ولهذا فإن تجربة الكويت تمثل تجربة فريدة من نوعها في العامل وهذا التفرد ينطلق من خصوصية المجتمع الكويتي الذي يأتي مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية متجاوباً مع هذه الخصوصية في صميم جوانب حياة هذا المجتمع.

ثانياً : قضية الذات الكويتية :

إن مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية أنما يجسد الذات الكويتية بكل ما يحمله ذلك من معان فالمجتمع الكويتي مجتمع مسلم والاهتمام بالشريعة هو اهتمام عام لكن تطبيق الشريعة له أبعاد مختلفة عند الناس والاختلاف ينشأ من تباين الخلفيات الثقافية والتربوية ومدى البعد أو القرب من عملية الممارسة للتعاليم الإسلامية فالناس في هذا

المجال أجناس كل يأخذ من الدين ما يراه مناسبا له ويقف منه الموقف الذي يتلاءم مع معتقداته ومواقفه التى يؤمن بها واختلاف الناس أمر طبيعي في مجتمع تمارس فيه الحريات ويتلقى أفراده مختلف الثقافات ويتفاعلون مع ككل التيارات العالمية والعربية ويأخذون دورهم في المساهمة في تلك التيارات ، وما مشروع استكمال تطبيق الشريعة في المجتمع الكويتي إلا واحد من المشاريع ذات المصادر للاختلاف وهو ليس خلافاً حول الدين حول الدين الإسلامي أو أهميته وإنما اختلاف في وجهات نظر مفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية وانعكاسات تلك التطبيقات على المنجزات في المجتمع الكويتي وعلاقاته مع الأطراف الأخرى، والقضية قد أخذت مداها واستفرغت محتواها ولكن أطروحات التيارات الفكرية تجعل صانع القرار السياسي على بينة من الأمر وعلى بصيرة فيما يترتب على هذا القرار من آثار.

ويكون دور لجنة استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية مراعاة واقع البلاد ومصالحها من خلال دراسة ذلك الواقع والاتصال بالقائمين عليه لمعرفة أفضل السبل ، لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال المقترحات الفعالة ذات الأهداف السامية التى تصلح العباد والبلاد وفى ذلك عزم على نجاح التطبيق ، وإصرار على تهيئة الظروف المناسبة

التـى تجعـل هـذه التجربـة الفريـدة ناجحـة بكـل مقـاييس النجـاح ونسـميها فريـدة وليست جديدة لتفرد المجتمع الكويتي من حيث طبيعته ونظام الحكم فيه.

ثالثاً: التيارات الفكرية المضادة:

إن مشـروع اسـتكمال تطبيـق الشـريعة الإسـلامية يكتسـب أهميـة أيضـاً بـالنظر إلـى واقـع المجتمـع الكـويتي الـذي يشـهد تيـارات متعـددة تتعـايش معـاً ولهـا مواقفهـا مـن الشـريعة مـن هـذا المنظـور ومـن قبيـل التبسـيط هنـاك التيـار المؤيـد والتيـار المعـارض وفـى إطـار كـل منهمـا تتعـدد الـرؤى بمـا يخـرج عـن نطـاق اهتمـام الدراسـة لكننـا نجـد ان التيـار المؤيـد ينطلـق عـادة مـن مقولـة " إن الحـق أحـق أن يتبـع" والشـريعة الإسـلامية هـى الحـق فهـي بالتـالي لا بـد ان تطبـق أمـا التيـار المعـارض (بصـرف النظـر عـن درجـة هـذا الـرفض) فهو ينطلق عادة من مقولة : الناس أدري شؤون دنياهم.

(أ) الحق أحق أن يتبع :

فهنـاك رؤيـة مفادهـا أن تطبيـق الشـريعة واجـب بغـض النظـر عـن قبـول النـاس أو رفضـهم لأن شـرع الله أحـق أن يتبـع وقـد ألزمنـا سـبحانه بطاعـة رسـله وإتبـاع شـرعه وجعـل هـذه الطالعـة هـى العبـادة المفروضـة علينـا قـال تعـالى " وأنزلنـا إليـك الكتـاب بـالحق مصـدقاً لمـا بـين يديـه مـن الكتـاب

ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق " (المائدة :٤٨) وهذا يدل على أن شريعة الله جميعها واجبة الإتباع سواء منها ما يتعلق بالعبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج أو ما يتعلق بالمعاملات أو الآداب أو الحدود.

فالحق أحق أن يتبع من خلال تطبيق الشريعة في العبادات والمعاملات سواء بسواء، مما يبرهن على أن أهل الإسلام ليسوا مخيرين في أخذ شريعة الله أو تركها بل هم ملزمون بذلك بل لا أيان أصلا لمن كفر بها أو ردها أو هجرها أو انتقصها وعابها أو ذمها لأنها تنزيل من الحكيم الحميد .. فلا أيمان إلا مع الإقرار بشريعة الله والإذعان لحكمه ولا إسلام إلا الإسلام لأمر الله ونهيه والسمع والطاعة لحكمه وخبره. أي أن تطبيق الشريحة أمر حتمي ولا يستكمل الإنسان دينه إلا باستكمال تطبيق الشريعة في مجتمعه في كل جزيئه من أجزاء الحياة . والسعي نحو تحقيق هذا الهدف هو امر واجب الوجوب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يتحقق في قلب الإنسان والمجتمع إلا بالالتزام الكامل بما فرضه الله عليه من أحكام ، وإلا كان ذلك شعارات لا تحمل إلا معان نظرية ليس لها حظ من التطبيق العملي " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً " (النساء : ٦٥).

ولما كان استكمال الشريعة الإسلامية في المجتمع المسلم ينتج عنه سعادة المجتمع دينا ودنيا فإنه أمر من مقتضيات الإيمان الذي يفرض القبول بالإسلام أولاً " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً " (الأحزاب : الآية ٣٦) إن مشروع استكمال التطبيق لا يتجاهل ما يطالب به هذا التيار بل انه يرسى أصول الحكمة والتعقل في التعامل مع القضايا العامة ، أن الحماس لدين الله سلوك محمود ولكن الحماس الذي يتخذ أسلوب الانفعالية يحول دون الإحاطة بالمعطيات البيئية والاجتماعية والسياسية ودون معرفة العواقب المترتبة على القرارات المصيرية في حياة الشعوب وكأن أمر تطبيق الشريعة من نوع كن فيكون أو إعلانا في محطات الإذاعة والتليفزيون وتنتهي المسرحية .

إن فورة الحماس التى تأخذ ببعض الناس تصل إلى درجات عالية دون مراعاة لمتطلبات الحياة الحديثة بما تستلزمه من معالجة اجتهادية تتناسب مع الظروف المستجدة على الساحة المحلية والدولية ، لأن بعض هذه الظروف لم يس إيجاد حلول لها نظراً لحداثتها ، كما أن بعض الاجتهادات تجاوزها الزمن ، ويتطلب توافقها مع الواقع إحداث تغييرات تتطلب وقتاً لتكون القاعدة الشرعية متوافقة مع واقع الحال (٣) ، ويأتي مشروع استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ليكون صوت العقل

الذي يحرص على صون الشريعة من عبث العابثين ، وحفظها من تيارات المتحمسين ، لأنها مصدر حماية الأمة وأساس هويتها ، فلابد أن يقوم على استكمال تنفيذها رجال قد خبروا الحياة ، وعقول قد أدركت معاني الوجود وعرفت مراحل نقل الناس من حال إلى حال ، لتكون النقلة إنجاز مهمة وليس تبرئة ذمة ، ومن هذا المنطلق المتعقل في تطبيق الشريعة جاءت المطالبة بالتدرج فيما تسمح به المعطيات الاجتماعية والسياسية واختيار البدائل التى تتلاءم مع التطورات الحديثة بما لا يحدث انحرافات أو انجرافات في المجتمع أو خلخلة لقواعده الأساسية ولمحاور تعامله مع بقية الشعوب والمجتمعات.

إن الصدق في التوجه لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية يتطلب التريث في دراسة الواقع ، ومعرفة مستلزمات التطبيق لهذه الأحكام التى تشكل ملاذاً يحتمي به من العواصف الفكرية الوافدة علينا من كل فج وصوب ، أو الداخلة إلى عقولنا من خلال القنوات الفضائية التى تتصارع للوصول إلى الإنسان في كل مكان، وتبث الفكر إلى كل مجتمع بغض النظر عن صلاحية أو فساد ما يبث للعقل المسلم ، أو مناسبته لقيم المسلم وعقيدته .

ليس التعامل مع عموم المجتمع كالتعامل مع شريحة واحدة أو بعض الشرائح وليس العمل على تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق الشريعة

الإسلامية كالقرارات الاستبدادية التى لا تقيم وزناً لاتجاهات الناس ومواقفهم وآرائهم حتى فيما يتعلق بتطبيق شرع الله فالرسول صلى الله عليه وسلم : مكث دهراً يعلم الناس ، وراعى في التشريع ظروف الناس وأحوالهم فالشريعة جاءت لسعادتهم وزيادة تفاعلهم مع دينهم واستثمار دنياهم فيما يعود عليهم بالخير والبركات.

(ب) الناس أدرى بشؤون دنياهم:

وهناك تيار يقاوم تطبيق الشريعة الإسلامية ويقدم الأدلة والمبررات للإبقاء على القوانين الوضعية ، أو إحداث اجتهادات جزئية لكي لا تتعارض هذه القوانين مع نصوص الشريعة الإسلامية أو تغرق في تفسير النصوص الشريعة ، مع استثمار الاجتهادات المتباينة في الشريعة الإسلامية لإثبات صلاحية القوانين الوضعية والإبقاء عليها ، وقد تكون منطلقات هذا التيار صادقة في المحافظة على المجتمع وتقدمه خاصة وأنه يرى في تطبيق الشريعة بالصورة التى تعرضها بعض التيارات الإسلامية تأخراً عن ركب الحضارة والمدنية ، بل إن تجارب بعض الأنظمة التى رفعت شعارات الإسلام وزعمت تطبيق الشريعة الإسلامية لا تشجع أن تكون نموذجاً يحتذى به وقد تكون منطلقات هذا التيار الخوف من تسلط بعض الفقهاء باسم الدين والتحكم في حريات الناس واجتهاداتهم في محيط حياتهم ولهذا فإن أصحاب هذا التيار ينظرون إلى

الدين على أنه علاقة ربانية بين العبد وربه ولا ينبغي أن يقحم الدين في عالم الناس ومعاملاتهم التى يكثر فيها الاجتهاد والتعديل والتبديل مما قد يتنافى مع القواعد الدينية في حالة تطبيقها.

ويرى القائلون بذلك أن إدخال الدين في الحياة اليومية فيه تعريض لهذا الدين لأنه أصبح في متناول التيارات السياسية في مجتمع ديمقراطي، وأداة من أدوات السلطة التنفيذية غير المنزهة عن الممارسات الخاطئة،وان إقحام الدين في الأعمال السياسية لا يجب أن يكون في المجتمعات التى تمارس فيها حرية النقد ومحاسبة السلطات التنفيذية على أعمالها وتطوير القوانين بما يتناسب من مستجدات العصر ومعطيات الحال، فالناس أدرى فيما يصلح لهم حسب الزمان الذي يوجدون به والمكان الذي يعيشون فيه وعملية تقييدهم بفهم معين للشريعة الإسلامية إنما حجر لتلك العقول أن تعمل وتجتهد لأن الاجتهاد بالدين محدود مهما كان باب الاجتهاد مفتوحاً كما يقول علماء الدين.

ويصل الفكر عند بعض الناس إلى فصل الدين عن الدولة فلكل مجاله ومحيطه، فالسياسية ليست في شئ من الدين وما يقال عن السياسة يقال عن القضاء ، وغير ذلك من وظائف الحكم ومراكز الدولة وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، ولا شأن للدين بها فهو لم يعرفها

ولـم ينكرهـا ولا أمـر بهـا ولا نهـى عنهـا ، وإنمـا تركهـا لنـا لنرجـع فيهـا إلـى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة.

أمـا عـن دلالـة مشـروع استكمال تطبيـق الشـريعة الإسـلامية لمـا ينـادي التيـار الـرافض أو المـتحفظ تجـاه التطبيـق فـإن المشـروع يعنـي التعامـل بلغـة الحـوار الهـادف، والتعقـل الـلازم حتـى لا نجنـي ثمـار التسـرع فـي الـرفض ، أو الجهـل فـي الـتحفظ ، فلننتظـر مـا سـينتج عـن المشـروع فـإذا كـان الخـلاف أمـراً متوقعـا بـين النـاس فإنـه يجـب أن يـدار مـن منطلـق أدب الخـلاف فـي الإسـلام ويظـل الخـلاف ضـمن المقبـول مـادام ناتجـاً عـن أسـباب معقولـة ولـيس عـن هـوى أو تعصـب أعمـى للـرأي (٥)، إن مشـروع اسـتكمال تطبيـق أحكـام الشـريعة الإسـلامية قـد طـرح ونمـا فـي جـو تسـوده حريـة الـرأي وإمكانـات البحـث والتقصـي ، واسـتقراء مختلـف الآثـار المحتملـة جـراء التطبيـق الكامـل ولـم يـزل المشـروع مسـتمراً فـلا داعـي إذن لإصـدار أحكـام انفعاليـة متسرعة بشـأن مـا سيسـفر عنـه مـن نتـائج ، وبـدلاً مـن ذلـك يبـدأ كـل فـرد بنفسـه وبمـن يعـول ، فقـد يسـفر المشـروع عـن إنجـاز حضـاري يمثـل نقلـة فـي مجـالات الحيـاة لتحسـين أداء الأمـة وزيـادة أمنهـا النفسـي والاجتمـاعي وليكـون المجتمـع الكـويتي نموذجـاً قـد يحتـذى بـه مـن قبـل الأنظمـة والمجتمعـات الأخـرى وقـد يكـون فـي تطبيـق الشـريعة مـا يصـلح أحوالنـا ويزيـد مـن إمكانياتنـا فـي تحصـين شـبابنا مـن أمـراض العصـر وانحرافـات الثقافـات

الوافدة ، ويكون مشروع استكمال الشريعة الإسلامية خيرا كله حتى لأولئك الذين لا يحملون اتجاهات ايجابية نحو تطبيق الشريعة الإسلامية كما قد يكون في تطبيق هذه الشريعة في المجتمع الكويتي ما يمثل نموذجاً طيباً للمجتمعات الإسلامية الأخرى.

رابعاً :أوجه الاختلافات:

(أ) مناهج التطبيق:

لقد تعددت الرؤى والتصورات بشأن مناهج تطبيق الشريعة في حياة الناس فهناك من يرى أساس البناء في سلوك الإنسان يبدأ بالعقيدة وما يترتب عليها من التزامات وما ينتج عنها من سلوكيات وبغير هذا البناء يكون أساس الفرد ضعيفاً لا يعرف ما يجب وما لا يجب ، إن سلامة العقيدة التى يقوم عليها البناء الفكري والتصورات عن الحياة والوجود والصراع بين الحق والباطل ومعرفة دور الإنسان في الوجود هى التى تحفظ الإنسان من الانحراف وتجعل حركاته وسكناته مرتبطة بالوظيفة الأساسية لوجوده ، وبموجب ذلك فإن الفكر هو مجال إحداث التغيرات المطلوبة فالإنسان تسيره الصور الذهنية التى يحملها ، وتنعكس تلك الصور على واقعه وتعامله مع الآخرين ، فلابد من تزويد الناس بالأفكار الإسلامية الأساسية لكي تنعكس على واقعهم ، فالعقيدة

الإسـلامية إنمـا هـي حقـائق عـن الله سـبحانه وتعـالى وعظمتـه وقدرتـه ورحمتـه ومحبتـه لخلقـه ، وعلـى هـذا الأسـاس فـإن العبـد يتصـل بمـن يحبـه ويطلـب لـه الخيـر ، ومـا المـنهج الربـاني إلا دلالـة علـى محبـة الله لعبـاده ، إذ دلهـم علـى الخيـر مـن خـلال إرسـال الرسـل إلـيهم وهـدايتهم إلـى طريـق الصـلاح والفـلاح ، وتبـدأ مسـيرة تطبيـق الشـريعة الإسـلامية فـي إحـداث التغييـرات الفكريـة لـدى الفـرد والأسـرة فـي تناسـق إسـلامي موحـد لكـي يكـون السـلوك متسـقاً مـع القـيم الإسـلامية وتعـاليم الـدين فـالفكر منطلـق التطبيـق وأسـاس ممارسـة الإسـلام ودعامـة ديمومـة المحافظـة عليـه ، ويـرتبط بـالفكر الاتجاهـات السـامية نحـو الـدين ، إذ أن سـمو الـروح وتنميـة الجوانـب النفسـية والارتبـاط بالرسـول صـلى الله عليـه وسـلم هـو أصـل العمـل ودافـع العطـاء وأداة النجـاة ، ويتحقـق ذلـك مـن خـلال الممارسـة النفسـية المرتبطـة بالـذكر الـدائم وفـى مقابـل ذلـك هنـاك مـن يطـرح فكـرة أن مسـيرة تطبيـق الشـريعة الإسـلامية تبـدأ مـن إيجـاد وسـائل تحقيـق الالتـزام العـام بأحكـام هـذه الشـريعة فـي المجتمـع إذ أن هـذا الالتـزام هـو الـذي يوجـد اتجاهـات نفسـية نحـو ممارسـة الـدين ، ولابـد مـن وجـود أصـول اجتماعيـة تحـافظ علـى الـدين ، فالـدين مـن أصـول الحيـاة التـى لابـد أن نحـافظ عليهـا ونلـزم النـاس بهـا فكمـا أن هنـاك قانونـاً للسـير وقـانون للتعلـيم وقانونـا للصـحة فـإن الـدين هـو عمـاد الحيـاة لابـد أن يوجـد قـانون لحمايتـه ، وإلـزام النـاس بأحكامـه ، ومـن هنـا

جاءت فكرة وجود هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك نشأة مفهوم الحسبة في الإسلام والذى تمت ممارسته لقرون عديدة عبر تاريخ المسلمين.

(ب) ظروف التطبيق :

اختلفت الأطروحات الخاصة بمدى ملائمة ظروف تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي ، فقد رأي البعض أن التوقيت مناسب لاستكمال التطبيق ، حيث أن القائم على هذا الأمر هو ولي الأمر وهو رأس الدولة ، فليس هناك ظروف مناسبة أحسن من هذه الظروف ، ولابد من استثمارها في سبيل الله ولصالح المجتمع فقد مارس أهل الكويت الديمقراطية وعرفوا الحرية وتمتعوا بأعلى درجات الوفرة المادية ، وجاءت الفرصة التاريخية المناسبة لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية لتكون الحصن الذي يحمي الأمة من الانشقاقات والانحرافات ويوحد لها المسارات ويرسم لها المعايير في اتخاذ القرارات الصالحة التى تتناسب مع هوية الأمة وتكون رسالتها في الوجود واضحة وهى عبادة الله وحده ، وفى المقابل نجد أن بعض الناس يرى أن عملية استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات ليست مرتبطة بشخص الحاكم ولكنها مرتبطة بالتوجهات العامة في المجتمع والتيارات السياسية والاجتماعية والتربوية السائدة وبالتالي فإن عملية استكمال التطبيق تحتاج إلى جهود تهيئة نفسية

واجتماعيـة علـى كـل المسـتويات الرسـمية والشـعبية فالعمـل لـيس مـن منطلـق كـن فيكـون ، ولكنـه عمـل تعبـدي يجـب ان يأخـذ مـداه فـي نشـر الفكـر والـدعوة إلـى تطبيـق الإسـلام ليكـون مـنهج حيـاة ، وأسـاس النظـام للمؤسسـات العامـة والخاصــة ، ولهـذا فـإن التـدرج فـي التطبيـق هـو أسـاس النقلـة الحضـارية المطلوبــة والمرغوبــة ، إن الشــريعة الإســلامية نظــام فــي حيــاة النــاس واســتقرار لأنظمــتهم ومعــاملاتهم ونفوســهم فلابــد أن يأخــذ تطبيقهــا مجــراه التدريجي ليكون جزءاً من بنية الإنسان وشخصيته.

(ج) مسؤولية التطبيق:

مـن المسـؤول عـن تطبيـق الشـريعة الإسـلامية؟ لقـد تباينـت الـرؤى والتصـورات عمـن يتحمـل المسـؤولية تجـاه الشـريعة ومـن ثـم تطبيقهـا فـي مجـالات الحيـاة المختلفـة فمـن النـاس مـن يـرى ان الشـريعة هـي مسـئولية القــائمين عليهــا والمتلقــين لتعليماتهــا والمتفقهــين بعلومهــا فكــل هــؤلاء مســؤولون عــن الــدعوة إلــى الشــريعة ، ولــيس لهــم علاقــة بالعمــل علــى تطبيقها فـي الوجـود البشـري لأن ذلـك لـيس مـن شـأنهم، ومـن النـاس مـن يـرى أن المسـئولية تقـع بالدرجـة الأولـى والأخيـرة علـى ولـى الأمـر فهـو المكلـف شرعاً وعرفـاً بحمـل النـاس علـى التطبيـق ومـن هنـا فـإن الجـرم والـذنب يصـيبه وحده إذا لم يتم تطبيق الشريعة.

ومن الناس من يرى أن تطبيق الشريعة الإسلامية يقع على الجميع كل حسب طاقته ، وإن تغيير المنكر واجب على الجميع ، إن لم يكن باليد فليكن باللسان وإلا فبالقلب ، وتؤكد هذه الرؤية على عمق وشمول الشريعة ، فهي تشمل كافة جوانب الحياة ، وهى لا تقتصر على العبادات أو التكاليف الفردية ولكنها ذات ارتباط وثيق بالمجتمعات والأنظمة الاجتماعية الكبيرة.

فتطبيق الشريعة واجب مشترك بين جميع الناس الذين يؤمنون بالإسلام بغض النظر عن مواقع المسؤولية التى يتولونها ، ومهمة استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية تتوزع على جميع الجهات والمؤسسات الخاصة والعامة ، سواء كان ذلك من خلال سن القوانين الضابطة للسلوك البشري أو من خلال التعامل بالقيم والأخلاق الإسلامية أو من خلال الرقابة الذاتية للسلوك البشري وبالتالي من الظلم أن يتحمل طرف دون الأطراف الأخرى مسئولية استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية فهي ليست عملية إصدار قوانين وإعلان في وسائل الإعلام لتكون الشريعة مطبقة ، إنها منهج لحياة الناس يدخل في كل جزئية من جزئيات حياتهم الخاصة والعامة.

(د) مستويات التطبيق ومداخله:

لقد تعددت الرؤى والأطروحات في إطار الحديث عن مستويات ومداخل تطبيق الشريعة فهناك من يرى أن هذا التطبيق يتطلب أن يبدأ كل فرد بنفسه وحسب قدرته واستطاعته فعلى الإمام من كل ذلك ما ليس على عامة الناس وعلى أهل العلم ما ليس على الجاهل وعلى أهل التمكين ما ليس على المستضعفين ، وإن كان كل فرد مسؤولا عن نفسه ، وعمن يرعاهم(٦) فإذا طبق كل فرد الشريعة على نفسه وعلى من هو مسؤول عنهم فإن ذلك ينعكس على جميع المجتمع بكل فئاته ومستوياته.

ومنهم من يرى أن تربية الفرد هي وسيلة إحداث الغير الايجابي نحو ممارسة الإسلام فالتربية هى إحداث تغييرات سلوكية في حياة الأفراد وهي عملية نقل الكائن البشري ن حال إلى حال بواسطة التنشئة الاجتماعية ذات الأهداف التربوية المحددة من قبل المجتمع ، فالتربية أداة تشكيل الإنسان وما تريده من هذا الإنسان يغرس من خلال الوسائل التربوية والمناهج الأسرية والمدرسية التى تشكل الإنسان بصفاته ومواصفاته المطلوبة والمرغوبة.

وهناك من يرى أن إصلاح النظام السياسي هو الأساس وما لم يكن صانع القرار السياسي على قناعة بتطبيق الشريعة فإن كل المحاولات لن تجدي لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وأيـاً كانـت مسـتويات تطبيـق الشـريعة فقـد تعـددت الـرؤى حـول مـداخل هـذا التطبيـق ، فهنـاك مـن يـرى أن الـبلاغ العـام وتبرئـة الذمـة هـو وسـيلة الـدعوة مـن خـلال الخـروج فـي سـبيل الله، وتطبيـق الشـريعة الإسـلامية يكـون مـن خـلال التحـرر مـن الـدنيا والخـروج إلـى الله كمـا فعـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فواجـب المسـلمين التبليـغ عـن الـدين ولـو آيـة أو حـديث ، وتكـون التنقيـة للـنفس البشـرية مـن خـلال ممارسـة الـدين عمليـاً والالتـزام مـع الـدعاة إلـى الله سـبحانه وتعـالى " واصـبر نفسـك مـع الـذين يـدعون ربهـم بالغـداة والعشـي يريـدون وجهـه ولا تعـد عينـاك عـنهم تريـد زينـة الحيـاة الـدنيا ولا تطـع مـن أغفلنـا قلبـه عـن ذكرنـا واتبـع هـواه وكـان أمـره فرطـا " (الكهـف :٢٨) وبموجـب ذلـك ، فـإن الوسـيلة إلـى إصـلاح الحـال هـى التوعيـة العامـة التـى يعـرف بهـا كـل إنسـان واجبـه الشخصـى والاجتمـاعي ، وتكـون مراقبـة التنفيـذ تضـامنيه مـع وضـع العقوبـات الصـارمة التـى تتناسـب والخـروج علـى الآداب،والإيمـان العميـق بالمسـؤولية ..ويقـوم بهـذه المهمـة البيـت والمدرسـة والنـادي والقضـاء وكـل المجتمـع بجميـع أفـراده وهيئاتـه والتراخـي فـي ذلـك ضـياع للجميـع(٧) فالـدين يقـوم ويـنهض مـن خـلال المؤسسـات العامـة فـي المجتمـع ، وبـدون تلـك المؤسسـات لا يكـون للـدين قائمـة ، ومـن تلـك المؤسسات التنظيمات الحزبية أو الجماعات الإسلامية

أو التشـــكيلات الإداريـــة المتعـــددة ، فالباطـــل يعمـــل بصـــورة منظمـــة كذلك .

(هـ) نتائج في التطبيق:

اختلفـت الـرؤى والأطروحـات حـول نتـائج تطبيـق الشـريعة الإسـلامية ومـن الطبيعـي أن تتحـدد طبيعـة هـذه النتـائج حسـب الموقـف مـن تطبيـق الشـريعة فالأطروحـات والـرؤى المؤيـدة تـرى أن عمليـة التطبيـق فيهـا النجـاة مما نعـاني مـن أمـراض اجتماعيـة ونفسـية فالإيمـان الصـادق قـارب نجـاة فـي الـدنيا والآخـرة ، ولهـذا فـإن النجـاح والفـلاح لهـذه الأمـة لا يـتم إلا بتطبيـق الشـريعة الإسـلامية قـولاً وفعـلاً فـي كـل نـواحي الحيـاة : إننـا جميعـاً مسـلمون نحـرص علـى ديننـا ونـزعم أننـا لا نبغـي عنـه بـدلاً ، ولكننـا نخطـئ فـي فهـم الـدين ونظـن أنـه لا يتجـاوز مـا يقـام فينـا مـن شـعائر العبـادة ويهتـف بـه الوعـاظ والخطبـاء مـن الـدعوة إلـى الأخـلاق الفاضـلة ، ويخيـل إلـى كثيـر منـا أنـــه لا شـــأن للـــدين بالمعـــاملات المدنيـــة والحقـــوق الاجتماعيـــة والعقوبـــات والتعـازير ، ولا صـلة لـه بشـؤون الحـرب ولا السياسـة الداخليـة والخارجيـة كـلا ، إن الإســلام لــيس كمــا يظنــون ، الإســلام ديــن وسياســة وتشــريع وحكــم وســلطان وهــو لا يرضــى مــن متبعــه إلا أن يأخــذه كلــه ويخضــع لجميــع أحكامـه فمـن أبـى الرضـى بأحكامـه فإنـه يفقـده كلـه (٨) بـل أن المعنـى فـي

أذهــان هــؤلاء يتعــدى الممكــن إلــى مــا لا يمكــن بالمقــاييس الماديــة فهــم يعتمــدون علــى الأبعــاد الإيمانيــة فــي إشــاعة الأمــن والســلام بــين النــاس بمجرد تطبيق الشريعة الإسلامية.

فــالخير بيــد الله يعطيــه مــن يشــاء ويمنعــه عمــن يشــاء ومــا تطبيــق الشـريعة إلا حلقــة مــن حلقــات الخيــر التــى ينزلهــا الله علــى عبــاده والنجــاح والفلاح بقبول التطبيق في عالم الوجود البشري.

تقـرر الأطروحــة المؤيــدة أيضــاً أن عــدم تطبيــق الشــريعة كاملــة يترتــب عليــه آثــار شــديدة علــى الأفــراد ، والجماعــات والمجتمــع ككــل ، إذ ان تــرك الــدين وعــدم الالتــزام بأحكامــه ، يترتــب عليــه فســاد الضــمائر ، وتخريــب الــذمم واســتبداد الظلــم ، وانتشــار الفســاد وانتهــاك الحقــوق ، وإراقــة الــدماء وتفريــق الكلمــة ، إن الشــريعة فــي معناهــا وأساســها تشــتمل علــى الحكــم ومصــالح العبــاد فــي المعــاش والمعــاد ، وهــى عــدل كلهــا ومصــالح كلهــا ، ورحمــة كلهــا ، فكــل مســألة خرجــت عــن العــد إلــى الجــور وعــن الرحمــة إلــى ضــدها ، وعــن المصــحة إلــى المفســدة وعــن الحكمــة إلــى العبــث، فليســت مــن الشريعة وإن أدخل فيها التأويل كما يقرر ابن القيم (٩).

والمؤيــدون لتطبيــق الشــريعة الإســلامية يــرون ان حمايــة للأمــة مــن أعاصــير التغريــب التــى تحاصــرها صــباحاً مســاءً ، بمــا ينــتج عنهــا حفــاظ

الأمـة علـى هويتهـا مـن الانـدثار أو الانحسـار أمـام تطـاحن الأمـم علـى إثبـات وجودهـا فـي عـالم الأمـم المعاصـرة ، إن انحـراف الشـباب وانغماسـهم فـي أنـواع الموبقـات والرذائـل والمخـدرات وانحرافـات السـلوك المختلفـة إنمـا مـرده إلـى غيـاب الـرادع الـديني وعـدم اتخـاذ الشـريعة مـنهج حيـاة للفـرد ، والأسـرة ولهـذا نجـد الانفصـام النكـد الـذي يعانيـه كثيـر مـن الشـباب فـي المجتمعـات الإسـلامية بـين واقعـه ومـا يرفـع لهـم مـن شـعارات تـدعو إلـى الفضـيلة ولكـن الممارسـات التـى يرونهـا فـي الواقـع تتنـافى مـع تلـك الشـعارات ، وهـذا الانفصـام بـين الشـعارات والممارسـات يـؤدي إلـى إحـداث فجـوة نفسـية وحالـة اكتئـاب كبيـر يترتـب عليـه كثيـر مـن الاحباطـات ممـا يرونـه فـي مجتمعاتهم.

فليسـت هويـة الأمـة متمثلـة بمـا تملكـه مـن عمـار أو بحـار أو مـواد خـام ، وإنمـا تتميـز بـه مـن عقائـد وقـيم وأخـلاق وممارسـات تعكـس عـزة تلـك الأمـة واعتزازهـا بـذاتها وبمـا تمـل مـن موروثـات تاريخيـة تجعـل الامتـداد التـاريخي أصـلاً نعتـز بـه تعتـز بـه فـي حاضـرها، وتمـده إلـى مسـتقبلها غرسـاً تربويـاً فـي أجيالهـا ، وتوجيهـا اجتماعيـاً لمؤسسـاتها ، إن المجتمعـات التـى تنفصـل عـن دينهـا وتفقـد هويتهـا تعـيش حالـة عـدم الاسـتقرار النفسـي والاجتمـاعي وتتـأرجح تياراتهـا السياسـية والاجتماعيـة حسـب مـا يطـرح مـن

تلك الأفكار في الساحة السياحية بغض النظر عن مناسبتها لواقع المجتمع وتناسقها مع قيمه الخاصة والعامة وهويتها الكلية.

وبالتالي فإن مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي إنما هو خطوة أساسية لتدعيم هوية المجتمع والحفاظ على مواطنيه وقيمه في عالم التيارات الأيدلوجية المتضاربة ، ولمواجهة أزمة الهوية التى يعاني منها شباب القرن العشرين الذي يوشك على الانتهاء وفى استقبال قرن لا نعرف ما يحمل من إرهاصات فكرية أو اجتماعية ، وما مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية إلا إعداد للاتصال الفعال مع معطيات القرن الحادي والعشرين بهوية واضحة أسس عقائدية تتناسب مع طبيعة المجتمع الكويتي المسلم ، وهى خطوة تسجل في تاريخ الكويت السياسي ، كما سجلت خطوات أخرى من ذي قبل سواء على مستوى التنمية السياسية أو الاجتماعية أو غير ذلك .

هذه بعض أهم النتائج التى يتوقعها أو تؤكدها الأطروحات المؤيدة لتطبيق الشريعة الإسلامية ، فماذا عن النتائج التى تقدمها الأطروحات المعارضة.

لقد رأى البعض ، أن هذا التطبيق سينتج عنه عمليات تراجع حضاري من الحرية إلى العبودية ، ومن ثقافة القرن العشرين إلى ثقافات وقيم لا تصلح للتطبيق في هذا الزمان وهى باختصار ضغوط التراجع في مواجهة أمواج التقدم الحضاري ، وفيها انتفاء وانتهاء لعمليات التبادل والانفتاح الثقافي الذي تتطلبه معطيات الحياة في القرن الحادي والعشرين ، ويرى هؤلاء أنه نظراً لخطورة المضار المترتبة على تطبيق الشريعة، فإن هذا يجعل التأجيل أولى من التعجيل ، والمكث أولى من الحث والمضار قد تكون داخليه أو خارجية ، فالناس أحرار فيما يفعلون والأعداء يتربصون بنا الدوائر ، فالشريعة مصدر توترات داخلية وخارجية لأنها قرار يشمل الأمة بأكملها ، ومن كان في موقع اتخاذ القرارات التى ينعكس أثرها على الناس بجميع شرائحهم فلابد أن يعيد النظر فيما يترتب على قراراته من آثار ولابد أن يتحمل ما يؤدي إليه القرار من آثار.

خامساً: تاريخ النظام يثبت صدق التوجه وسلامة النتائج :

إن بعض الأطروحات المؤيدة لتطبيق الشريعة والمعرضة له ، ترى أن نتائج التطبيق تتوقف على النية والصدق والوسيلة، فعلى قدر العزم تأتي النتائج ، فالشريعة وأحكامها لا غبار عليها ، ولهذا فإن الأمر مرتبط

بأهـداف اسـتخدام عمليـات وأحكـام الشـريعة فـي المجتمعـات ، وأغـراض ذلـك الاسـتخدام فـإن كـان لله خالصـاً وللمجتمـع ناصـحاً، فـإن النجـاح سـيكون حليفه وإن كان غير ذلك فإن الفشل قرينه.

فـي هـذا الإطـار نجـد البعـد السياسـي واضـحاً لـدى بعـض القـائلين بـذلك ، فمـنهم مـن يـرى أن صـانع القـرار السياسـي يحـاول أن يجـد مخـارج مناسـبة للمطالبـة الشـعبية بتطبيـق الشـريعة الإسـلامية ، ولهـذا فـإن القـرار سـينتهي عنـدما تنتهـي دواعيـه ، وهـم بهـذه النظـرة يقيسـون الأمـر علـى مـا يمارسـه صـناع القـرارات السياسـية فـي العـالم الثالـث ، ومـا أثبتـه التـاريخ السياسي في عالمنا السائد – أن نتائجه ستنتهي بانتهاء دوافعه.

كمـا أن النظـرة إلـى اسـتكمال تطبيـق الشـريعة الإسـلامية عنـد بعـض النـاس هـى نظـرة شـك فـي صـلاحية عمليـات التطبيـق فـي المجتمـع الكـويتي ولكـنهم فـي الوقـت نفسـه يـدركون محـاور الضـغوط الشـعبية التـى يواجههـا صـناع القـرار السياسـي فـي اتخـاذ هـذا المسـار ، ويظـن بعضـهم أن عمليـة الاسـتكمال هـي ردة فعـل وقتيـة لمواجهـة تلـك الموجـات السياسـية التـى مـرت علـى المجتمـع الكـويتي ، مثلهـا مثـل غيرهـا مـن التيـارات السياسـية التـى مـرت علـى هـذا المجتمـع خـلال تاريخـه الطويـل ، وتعامـل مـع تلـك التيـارات

بما يناسبها في كل زمن فعند هؤلاء أن لكل حادث حديث ولكل فعل رد فعل ستناسب مع معطياته ومساراته وأهدافه.

ومنهم من ينظر إلى استكمال تطبيق الشريعة على أنه لا يختلف عن غيره من الشعارات التى رفعها عرب هذا الزمان وأطلقوها وتلهوا بها ردهة من الزمان حتى أثبتت الأيام أنها غي قابلة للتطبيق أو التحقيق (الوحدة العربية من المحيط إلى الخليج – أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة – تحرير فلسطين) وحسب هذه الرؤية ، فإن استكمال تطبيق الشريعة ما هو إلا حلقة من تلك السلسلة الذهبية التى ترف لها القلوب وتتجاوب معها النفوس ، حتى يصدم الناس بالواقع المخالف لتلك الشعارات البراقة فينتكسون على رؤوسهم ويبحثون عن البدائل الأخرى.

إن ربط نتائج جهود استكمال تطبيق الشريعة بالأداء أو الموقف السياسي على هذا النحو ، يبدو أنه متأثر بخلفية تحكمها العاطفة أو الانفعال ، بدرجة عزلته عن الواقع الكويتي، إن تاريخ وواقع النظام السياسي الكويتي ، يؤكد صدق التوجه وسلامة النتائج في قرارات مصيرية ، فقد سبق لنظام الحكم في دولة الكويت أن تبنى النهج الديمقراطي في وقت لم تكن الديمقراطية أساس الأنظمة.السائدة في ذلك المن ، وقد أدخلت هذه الممارسات السياسية إلى المجتمع الكويتي الذي

مارس الديمقراطية حسب مستوياته في ذلك الزمن ، ولكن الديمقراطية استمرت كعنصر أساسي من عناصره ، وكسمة من سمات هذا المجتمع نفتخر بها ونتباهى أمام العالم بأسبقيتنا في تطبيقها ، ومثلما استمرت الديمقراطية بما يثبت صدق توجه النظام ، فلماذا لا ينطبق الأمر نفسه بالنسبة لتطبيق الشريعة الإسلامية.

سادساً : أين الحقيقة ؟

لماذا تختلف الرؤى والأطروحات حول تطبيق الشريعة الإسلامية إن الإجابة على هذا السؤال ليست بالأمر السهل ، لأن الاختلاف يرجع إلى مدى الإلمام بالشريعة ، والخلفية الفكرية والثقافية للفرد ، وتجاربه المباشرة وغير المباشرة بما يشكل الصورة الذهنية عن الشريعة.

إن استخدام الألفاظ يتضمن معان لصور ذهنية يحملها الإنسان عن الشيء الذي يريد التعبير عنه ، وما مفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية إلا من تلك المفاهيم التى يتباين الناس في فهمها حتى وغن كان هناك قبول عام للشريعة في حد ذاتها ، ولذلك نجد تبايناً في درجة هذا القبول لكن التباين قد يتم حسمه إذا ثبت في الأذهان جوهر القصد من الشريعة الإسلامية ممثلاً في درء المفاسد وجلب المصلحة ، والحث على مكارم الأخلاق وحسن العبادات ، وقد جاءت الشريعة برؤية متكاملة بما هو

ضـروري لتحقيـق هـذا الغـرض مؤكـدة الضـرورات الخمـس وهـي حفـظ الـدين ، والـنفس ، والعقـل ، والعـرض ، وحمايـة المـال : فلـيس هنـاك إنسـان سـوي يجـادل فـي أهميـة ذلـك وضـرورته ليحيـا حيـاة طيبـة ، ولعـل هـذا هـو مـا يسـتند عليـه الـبعض مـن أن تطبيـق الشـريعة أمـر لا منـاص عنـه ولا خيـار لمــن أراد أن يختــار لنفســه أو لمجتمعــه مــا يصــلح شــأنهم ويرفــع مســتوى التعامــل الإنســاني فــي معــاملاتهم ، بمــا يمثــل نقلــة حضــارية علــى كــل المسـتويات السـلوكية والاجتماعيـة والتشـريعية وبمـا يضـمن إسـعاد الشـعوب وإصــلاح الخلــل فــي المجتمعــات المعاصــرة ، ولتحقيــق ذلك يتعــين توضــيح جوانـب الشـريعة ومقاصـدها للنـاس ، وقـد عبـر فضـيلة الشـيخ محمـد الغزالـي طيـب ثـراه عـن ذلـك بقولـه : إن شـبكة التعـاليم الإسـلامية التـى ترعـى شـئون النـاس تحتـاج إلـى توضـيح وتمييـز بـين جوانبهـا المتعـددة بمعنـى أن الإسـلام قصـد مـن القـوانين التـى وضـعها ان يصـون دمـاء النـاس وأمـوالهم وأعراضـهم وهذا ما نفهمه بمقاصد الشريعة (١٠).

إن التبـاين فـي الصـورة الذهنيـة لـدى النـاس عـن الشـريعة الإسـلامية يمثـل تفسـيراً هامـاً لمسـتوى فهمهـم للشـريعة ، ومـدى التـزامهم بهـا ، ومـواقفهم مـن تطبيقهـا ، فـبعض النـاس يتبـادر إلـى ذهنـه عنـد سـماعه عـن تطبيـق الشـريعة أنهـا سـيف مسـلط علـى أولئـك السـراق الـذين ينهبـون أمـوال النـاس بالباطـل دون وجـه حـق، ولهـذا فـإن صـور تقطيـع الأيـادي الممتـدة إلـى

الحرام هى الصورة العالقة في أذهان البعض عند سماع تطبيق الشريعة وقس على ذلك أمثلة رجم الزاني وجلد شارب الخمر ، فالشريعة الإسلامية بالنسبة لبعض الناس هي تطبيق الحدود سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو العام ، بمعنى أن ما يصل إلى الفرد ينطبق على المجتمع وأن تطبيق الحدود لا ينجو منها من وقع في إثمها ، فالناس أمام الشريعة الإسلامية سواسية ، ومن الناس من يرى أن تطبيق الشريعة يعني مجرد منع بعض المظاهر السطحية كمنع الحفلات ومنع التبرج وغير ذلك من المظاهر التى تخالف الشرع.

وبعض الناس لديه صورة ذهنية عن تطبيق الشريعة بأنه إقامة العدل بين البشر ، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت إمارات الحق والعدل ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره ، والله تعالى لم يحصر العدل في جانب واحد أو بطريق واحد بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط في كافة جوانب الحياة ، وبكل الطرق ، بمعنى ا، كل طريقة تؤدي إلى العدل والحق تكون واجبة الإتباع وسوف توجد الدلالة عليها بل والحكمة والمقصد منها في الشريعة الإسلامية باعتبارها شريعة الحق والعدل.

هـذه الصـور الذهنيـة عـن مفهـوم تطبيـق الشـريعة الإسـلامية تتسـم بأنهـا جزئيـة أو مختزلـة فالشـريعة أعـم وأشـمل مـن مجـرد تطبيـق الحـدود ، أو منـع الاخـتلاط و الحفـلات أو التبـرج ، والشـريعة اعمـق وأسـمى مـن مجـرد إقامـة الحـق والعـدل بـين النـاس ، ان الشـريعة تشـمل ذلـك كلـه وغيـره ، إنهـا تشـمل كـل حيـاة الإنسـان المحسـومة وغيـر المحسـومة ، الظـاهرة والمسـتترة ، وبالتـالي فـإن تطبيـق الشـريعة كاملـة لا يكـون بمجـرد قـرار سياسـي ، وإنمـا لا بـد مـن تعميـق تطبيـق الشـريعة مـن خـلال الوسـط الاجتمـاعي الـذي يسـتقبل الفرد منذ ولادته ويظل ملازماً له طوالا حياته.

سابعاً : الأسرة : ذلك العملاق الغائب:

إن المقصـود بالغيـاب هنـا – هـو الغيـاب عـن أذهـان معظـم هـؤلاء المهتمـين بتطبيـق الشـريعة الإسـلامية ، وغيـاب العمـلاق عـن الأذهـان لا يعنـي أنـه غيـر موجـود ، بـالعكس إنـه موجـود بكـل معـاني العملقـة، ولكنـه غائـب فقـط عـن الـبعض ، هنـاك الكثيـرون الـذين تحـدثوا عـن دور الأسـرة فـي التربيـة والتنشـئة ، ولكـن القليلـين هـم الـذين ربطـوا هـذا الـدور بقضـية مصـيرية متكاملة كقضية تطبيق الشريعة الإسلامية.

إن الأسـرة هـى البيئـة الأولـى التـى تسـتقبل الطفـل منـذ صـرخة المـيلاد ، بـل أنهـا البيئـة التـى يتجـاوز تأثيرهـا علـى الطفـل إلـى مـا قبـل مـيلاده ،

والأسرة في إطار البيت وما يحيط به أو يرتبط به تحتضن الطفل وتربيه على ما لديها من معتقدات وعادات وتقاليد ولغة وما إلى ذلك . ومن هنا يبدأ الإنسان بتطبيق قواعد السلوك وممارسة قيم الدين منذ نعومة أظافره وتصبح تلك القيم جزءاً من تكوينه الشخصي ، وأساس علاقاته مع الآخرين . فالمنطلق الأول الذي يقوم عليه أساس تطبيق أي فكرة حياتية هو البيت وما يحمل من قيم وأعراف ومبادئ تكون أساس السلوك في التعامل البشري وما المجتمع إلا مجموعة أفراد هم نتاج أسر ذات قيم معينة تنعكس على أفرادها ، إن المطالبة باستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية يستوجب مطالبة الفرد بأن يبدأ بإصلاح نفسه وبيته والمحيطين به لأن إصلاح الفرد هو أساس إصلاح المجتمع ، فمن الأفراد يتكون النظام السياسي والتربوي ، ومن خلال الأفراد يتم تطبيق وتنفيذ الأحكام الشريعة فالإنسان الفرد هو الذي يتلقى تلك الأحكام ويتعامل بها وينفذها ، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأحكام بما فيها من عقوبات وحدود ، فإنه أوضح ما يكون بالنسبة للعقيدة والعبادات ، فإذا طبق الفرد الشريعة – بمفهومها الشامل على نفسه وأهله – يكون بذلك هو المدخل الصحيح لصلاح المجتمع، بل والمسوغ المقبول لمطالبة الدولة باستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية ، وعلى ضوء مدى التزام الفرد بالشريعة تتحدد اتجاهاته نحوها، شمولاً أو نقصاً ، قبولاً أو رفضاً ، كما تتحدد الصورة

الذهنية عن الشريعة لديه ، التزام الفرد بالشريعة يتأثر بالبيئة الأسرية التى نشأ فيها ويتفاعل معها ، كما ان الأسرة هى التى تشكل الصورة الذهنية لدى الفرد عن الدين منذ مراحل حياته الأولى ، وعلى ذلك فإن الأسرة تمثل مجالاً أساسيا لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وهذا ما سوف يتضح من الفصول القادمة.

مصادر ومراجع الفصل الأول

(١) جمعية إحياء التراث الإسلامي ، تطبيق الشريعة الإسلامية واجب شرعي ومطلب شعبي . (الكويت : جمعية إحياء التراث الإسلامي ، د.ت)ص٣.

(٢) المصدر نفسه . ص٤ .

(٣) وزارة الأوقاف ، نحو استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية سلسلة رسالة المسجد ، رقم ٧. (الكويت : الأمانة العامة للأوقاف . ١٤١٦هـ - ١٩٩٦) ص ١٢ .

(٤) محمد كمال إمام . الخلفية الفكرية والتشريعية والاجتماعية لاستبعاد تطبيق الشريعة الإسلامية. سلسلة المسلم المعاصر. السنة ١٥، العدد ٥٨ ، ص٥٨ .

(٥) صـــالح بـــن عبـــد الله بـــن حميـــد ، أدب الخـــلاف (الريـــاض المجلـــس الإســـلامي العـــالمي للـــدعوة والإغاثـــة ، ١٤١٥هـــ – ١٩٩٥ م) ص٥ .

(٦) جمعية إحياء التراث الإسلامي .مصدر سابق . ص٨.

(٧) وزارة الأوقاف . مصدر سابق . ص٦٧-٦٨.

(٨) المصدر نفسه ص٦٣ .

(٩) يوسـف القرضـاوي ، مـدخل لدراسـة الشـريعة الإسـلامية. ط١ . (القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١١هـ – ١٩٩١ م) .

(١٠) مجلة الحوار . العدد ١٣. السنة ٤ ص١٣.

الفصل الثاني

الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة

أولاً: مفهوم الشريعة الإسلامية:

الشـريعة هـى الأحكـام الشـرعية التـى وضـعت لتكون مـنهج حيـاة لمـن ينتسـبون إلـى الـدين ، فـي حيـاتهم الخاصـة والعامـة وفـى علاقـاتهم مـع ربهـم ومـع مجـتمعهم الـذي يعيشـون فيـه علـى اخـتلاف مسـتوياته وأبعـاده (١) ،

فالشريعة ليست قاصرة على المجالات السياسية والمؤسسات العامة ، وإنما تشمل سلوك الناس في حياتهم اليومية سواء ما كان منها متصلاً بالعلاقة بين الفرد وربه أو أسرته ومجتمعه.

والشريعة الإسلامية في الاصطلاح: ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة.(٢).

إن النظرة إلى الشريعة تنطلق من مصلحة العباد ، وليست نظرة تعسفية تأخذ من الشريعة سيفاً مسلطاً على رقاب الناس، أو أداة تحجيم لحرياتهم وانطلاقاتهم في الوجود الإنساني، إن تطبيق الشريعة لابد أن يؤدي إلى سعادة الناس والمساواة أمام القانون وتكون دوافعهم للعمل والمراقبة هى دوافع ربانية في معظم الحياة وما شذ عنها يكون للقانون سلطته ولتطبيقه هيبته.

فالمقصود بالشريعة هنا كما يعكسها الفكر الإسلامي هي مجموعة الأحكام المأخوذة من الكتاب والسنة والاجتهاد، وقد شرع الاجتهاد القائم على أصول الفقه الإسلامي لكي يعطي للأمة الإسلامية المرونة في التعامل مع المستجدات الحياتية التى تطرأ حسب الزمان والمكان ويمنح

المسـلمين منطلقـات الفكـر لمواجهـة تقلبـات الظـروف الاجتماعيـة والسياسـية التى تنشأ من عوامل متعددة.

والشـريعة الإسـلامية تختلـف عـن الشـرائع الإلهيـة السـابقة ، منـا تختلـف عـن القـوانين الوضـعية ، فالشـرائع الإلهيـة السـابقة محليـة ، أي محـددة بـزمن معـين ، وبمكـان معـين ، وكـذلك القـوانين الوضـعية ، أمـا الشـريعة الإسـلامية فهـي عمـة للنـاس جميعـاً وهـي خالـدة علـى الـدهر باقيـة علـى الـزمن ، ومـن هنـا جـاءت المرونـة فـي أحكامهـا ، وفـتح بـاب الاجتهـاد للقائمين عليها بما يتناسب مع عصرهم ولا يتعارض مع أصولها الثابتة.

ومـن أحكـام الشـريعة مـا هـو قطعـي ويصـلح لكـل زمـان ومكـان ولجميـع الأقـوام مثـل أحكـام العبـادات وأحكـام الـزواج والطـلاق والمواريـث وحـل البيـع وحرمـة الربـا وكتابـة الـدين المؤجـل والـرهن ومشـروعية المضـاربة والشفعة وشرعية الحدود والقصاص.

ومـن أحكامهـا مـا وضـعت لـه القواعـد والمبـادئ الكليـة مـع تـرك اسـتنباط القواعـد الجزئيـة لمجتهـدي الأمـة ، والخـلاف فـي هـذه الأحكـام الجزئيـة لا يضـر ، بـل أن الشـارع قـد مـنح المجتهـد فـي هـذه المجـالات أجـرين فـي حالـة الصـواب وأجـراً فـي حالـة الخطـأ ، أي أن الشـريعة واضـحة

نحو تشجيع بذل الجهد ، بما يؤدي إلى مصالح الأمة ويحفظ لها دينها وأحكامه.

وهذه القواعد هي قواعد كلية فقهية مشتملة على أسرار الشرع بها تضبط الفروع ، وتعرف الأحكام مثل : الضرورات تبيح المحظورات ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة والحكم يتبع المصلحة الراجحة (٣).

وبذلك تكون الشريعة الإسلامية تشمل كل ما شرعة الله عز وجل من العقائد والعبادات والخلاق والمعاملات وسائر النظم التى تحقق للناس سعادتهم في الدنيا ويم يقوم الأشهاد فكل ما في الدين من عقائد وأحكام يسمى شريعة (٤).

ثانياً : مقاصد الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة :

يراد بمقاصد الشريعة الغاية منها ، والأسرار التى وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها ، وباستقراء نصوص الشريعة الإسلامية ، نجد أن مقصدها العام هو حفظ نظام الكون واستقامته وتحقيق مصالح الناس ، وإصلاح شئونهم ، وذلك على أساس أن صلاح الكون يتجلى في

صــلاح الكائنــات وعلــى رأســها النــوع الإنســاني باعتبــاره الكــائن الحــي المهــيمن ، وصـــلاحه يتمثــل فــي صـــلاح عقلــه وبدنــه وســلوكه دون عســر أو مشــقة ، فجاءت الأحكام الربانية التى تعمل وتصب في هذا الاتجاه.

والأحكـــــام قـــــد تكـــــون ضـــــرورية ، أو حاجيـــــة أو تحســـــينية (٥)، فالضــرورية هــى الأمــور التــى لابــد منهــا لقيــام حيــاة العبــاد ، بحيــث لــو اختلــت هــذه الأمــور يختــل نظــام حيــاتهم وتعمهــم الفوضـــى ، والأمـــور الضــرورية هــي الــدين والــنفس والعقــل والنســل والمــال ، فعليهــا يقــوم أمــر الــدين والــدنيا ، وبالمحافظــة عليهــا تســتقيم الحيــاة وينــتظم المجتمــع ويتطلــب حفظهــا قيــام التشــريع الــذي يوجــدها أولاً، ثــم التشــريع الــذي يكفــل بقاءهــا وصـــيانتها حتـــى لا تضـــيع أو لا تـــؤتى ثمارهـــا المرجـــوة وإذا نظرنـــا إلـــى الضـــروريات مـــن منظـــور الأســـرة ســـنجد أنهـــا تتضـــمن " الـــنفس" " والنســـل" فبــدونهما لا يكــون المجتمــع ، أو يصــبح ضــرباً مــن الفوضــى والبهيميــة إذا لــم توجــد الأحكــام والقواعــد التــى تصــون الــنفس وتحفــظ النســل ، وهــذه الأحكــام إنمــا توجــد ويــتم تطبيقهــا مــن خــلال الــدين ، وتوظيــف العقــل والمــال فــي هــذا الإطـــار بمـــا يضـــمن صـــلاح البشـــرية ، أمـــا الحاجيـــات فهـــي الأمـــور التـــى تســـهل للنـــاس حيـــاتهم ، وترفـــع الحـــرج والمشـــقة عـــنهم ، وهـــى توجـــد فـــي العبـــادات والمعـــاملات والعقوبـــات ، وعلـــى مســـتوى الـــزواج والأســـرة نجـــد الأحكــام الكثيــرة التــى تنــدرج تحــت هــذا المعنــى ، لقــد نــادى الإســلام بتيســير

الـزواج علــى الــراغبين (حتــى وإن كــان المهــر خاتمــاً مــن حديــد) وجعــل الإنفاق على الأسرة في حدود طاقة الزوج ، وأباح الطلاق عند الضرورة.

أمــا التحســينات ، فهــى الأمــور التــى تجعــل الحيــاة جميلــة ، وإذا فقــد التحسـينات لا يتخيـل نظـام الحيـاة ، ولا يلحـق النـاس ضـرر أو مشـقة ولكـن حيــاتهم تصــير غيــر طيبــة وتنكرهــا الفطــرة الســليمة ، مــن أمثلــة ذلــك فــي إطــار الأســرة ، أبــاح الإســلام أن تتــزين الزوجــة لزوجهــا ، وان يتــزين الرجــل لزوجته ، كما أمر الأزواج بالإمساك بالمعروف أو التفريق بالإحسان.

ثالثا : خصائص الشريعة الإسلامية

ودلالتها لدور الأسرة في التطبيق :

تمتــاز الشــريعة الإســلامية بمجموعــة مــن الخصــائص التــي تلائــم جميــع التنظيمـات الاجتماعيـة فـي أي مجتمـع، وفـي أي زمـان ، بمـا فـي ذلـك " الأسـرة" وهـذه الخصــائص تضـمن كفـاءة وفاعليـة التنظـيم الاجتمـاعي طالمـا وضـع أحكـام الشريعة الإسلامية موضع التطبيق، من منطلق أنها ملزمة من قبل الله عز وجل مسـتهدفة مصــالح الفـرد والجماعــة وســعادتهم فــي الــدنيا والآخـرة، ولخصــائص الشـريعة الإسـلامية انعكاسـات مباشـرة وغيـر مباشـرة علـى الأسـرة، كمـا أن لهـا

دلالات هامة لدور الأسرة في تطبيق الشريعة ، خاصة عند أولئك الذين يعلمون مقاصد الشريعة، ويطبقونها بلا إفراط ولا تفريط، وتتمثل أهم خصائص الشريعة الإسلامية، ودلالتها للأسرة فيما يلي [٦]:

١- *الربانية:*

فالشريعة الإسلامية تمتاز عن القوانين الوضعية بما لها من صفة "الربانية" تفرغ على تشريعاتها قدسية لا نظير لها، وتغرس في نفوس اتباعها حبها واحترامها ، حباً واحتراماً نابعين من الإيمان بكمالها وسموها وخلودها لا من رهبة السلطة التنفيذية وأجهزتها، ولا من التأثير بمؤثرات الزمان والمكان والحال أوالوراثة والمزاج والأهواء والعواطف. إن حب الشريعة واحترامها يأتي لأن شارعها هو صاحب الحق والأمر في هذا الكون ورب كل ما فيه ، الذي خلق الناس وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهم وما يصلح لهم ويصلحهم، فإذا استشعرت الأسرة الشريعة الإسلامية من هذه الصفة (الربانية) وما يستتبعها فإن أفرادها- أي أفراد الأسرة – ينظرون إلى الشريعة ويتعاملون معها من منطلق أنهم ليس لهم خيار في تطبيقها أوعدم تطبيقها ، وإنما هم ملزمون بتطبيقها، ليس فقط لأن هذا التطبيق أمر من الخالق القاهر فوق عباده، وبيده محياهم ومعيشتهم ومماتهم ، ولكن أيضاً لأن التطبيق يضمن لهم حياة طيبة في الدنيا والآخرة. إن مصدرها الخالص بما ثبت من أحكامها وليس باجتهادات الفقهاء أوالعلماء عبر الزمان والمكان.

فاجتهادات البشر تحكمها عوامل متعددة ، قد لا تصيب الحق ولكن أوامر الله سبحانه وتعالى هي حق كله ، ودور الأسرة في مجال التعامل مع أحكام الشريعة يجب أن تفرق بين كلام الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ثبت عنه من جهة وبين اجتهادات علماء الأمة من جهة ثانية، فالأول له صفة الربانية، والثاني له صفة الصواب الذي يحتمل الخطأ (كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر) كما قال الإمام مالك رضي الله عنه.

فالربانية وإن كان صفة الشريعة إلا أنها ليست صفة الاجتهادات الفقهية ، ويمكن للأسرة أن تميز بين الأحكام الأصلية من جهة ، والاجتهادات من جهة ثانية قد يكون ذلك من خلاص الكتب الدينية المتخصصة، أومن خلال الاتصال بعلماء الدين أوالجهات الشرعية.

٢ - *الأخلاقية :*

فالشريعة الإسلامية تتميز برعاية الأخلاق في كل مجالاتها وجوانبها (وسوف نوضح في موضع لاحق دلالة ذلك للأسرة)، ولكن في هذه الجزئية سنشير بإيجاز إلى ما تعنيه هذه الصفة (الأخلاقية) التي تتصف بها الشرعية الإسلامية حسبما يقرر ذلك علماء المسلمين [٧] :

- إن الشريعة تنظر إلى الإنسان من حيث ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، فهو مطالب مسئول لأنه مخلوق مكلّف، إنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى، ومثلما له الحق ، فإن عليه واجب. من منظور الأسرة، فإن الزوج له حقوق على الزوجة، والزوجة لها حقوق على الزوج، وهناك حقوق وواجبات متبادلة بين الزوجين والأبناء والأقارب.

- إن الشريعة الإسلامية غايتها استقرار المجتمع ، وانتظام علاقاته، وتحقيق المثل العليا في حياة الناس ، والسمو بهم إلى أفق الإنسانية الرفيعة، والمحافظة على القيم الروحية والخلقية ، إنها تتضمن الاعتبار "القضائي" بجانب الاعتبار " الدياني" الذي يعامل الشخص من داخله لا من خارجه، ويقوده من باطنه لا من ظاهره، ومن ذلك ما فرضته الشريعة من كفارات توكل إلى ضمير الفرد وتقواه بالدرجة الأولى ، مثل كفارة الحنث في اليمين ، وكفارة الإتصال الجنسي بين الرجل وزوجته في نهار رمضان ... مثل هذه الكفارات عقوبة ، ومسئولية أدائها مسئولية أخلاقية، وهذا يعني الكثير بالنسبة للأسرة المسلمة أبسطها وأهمها قيام كل فرد فيها بواجباته تجاه الآخرين ، ليس خوفاً من عقوبة قانون وضعي قد يفلت منها، ولكن من منطق المسئولية التي فرضت عليه من قبل الله عز وجل ، والذي يعلم السر وأخفي ولا يمكن الإفلات من عقوبته، إلا بمغفرته ورحمته، فالعديد من الممارسات داخل الأسرة يوجهها ضمير الإنسان ، وكثيراً ما تفوق نطاق القانون الوضعي ، بل لا

نكون مبالغين إذا قلنا بأن هذا القانون (الوضعي) لا يتعامل إلا مع ما هو ظاهر من قمة صغيرة ظاهرة من جبل الثلج العملاق.

يأتي دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال غرس، وتنمية الرقابة الذاتية للإنسان فهو مسئول عن أعماله وأقواله بالثواب أو بالعقاب سواء في الدنيا أوفي الآخرة. وهذا الإحساس إنما يغرس في الصغر من خلال النماذج الوالدية والأخوة والأخوات، فلابد أن تكون هناك رقابة داخلية ذاتية لاختيار الألفاظ وتنقية الأعمال في تناسق عجيب بين الظاهر والباطن، فالمسلم يراقب الله محبة ورهبة، ويلتزم بطاعته رغبة ورهبة ، إن منطلقات الفرد بالالتزام بالشريعة هي ذاتية وليست بعوامل الخوف من الناس أومن القانون الوضعي ، وهنا يأتي دور الأسرة في محاولة غرس هذا الهاجس الداخلي، وإعطاء الفرد أهمية الدين لذاته سواء كان وحيداً أوبين الناس، فالحق أحق أن يتبع دون إكراه من الآخرين ، ولابد أن يعلم الإنسان أن الجزاء من جنس العمل، وذلك من خلال التربية الأسرية التي تسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية.

٣- الواقعية:

فالشريعة الإسلامية تتعامل مع الإنسان كجسد وروح ، كماديات ومعنويات ، كفرد وجماعة ، كحياة وموت ، تتعامل معه بفجوره وتقواه ، بفقره وغناه، بشقائه وسعادته، بخطئه وصوابه، طمعه وقناعته... الخ ، بما يؤكد أن الشريعة وجدت

من أجل الإنسان ، ووجد من أجلها الإنسان ، فالشريعة لم تسبح في الخيال ، ولم تحلق في أجواء المثالية ، ولم تتعامل مع واقع مفترض ، وإنما مع واقع موجود بالفعل ، مع فتح باب السمو على مصراعيه، وبيان الطريق إليه، الشريعة الإسلامية راعت حاجات الجسد عندما أمرت الإنسان بأن يأكل حلالاً طيباً ، وأن يتزوج ، وأقرت حق التملك، وأباحت الترويح عن النفس ، وغير ذلك من الأمور التي هي جزء من فطرة الإنسان ، والتي أقرتها الشريعة الإسلامية وأحاطتها بالقواعد التي تضمن عدم انحرافها عن جادة الصواب، والشريعة الإسلامية تنادي بالوازع الديني وتلح عليه ليتقسم أمر الإنسان ، ولكنها في الوقت نفسه فرضت عقوبات زاجرة لأن بعض بني الإنسان لن يجدي معهم غير ذلك في الواقع، والشريعة الإسلامية هي شريعة السلام ، ولكنها أباحت الحرب والدفاع عن النفس ورد العدوان استجابة لواقع الصراع بين الخير والشر، بين لاحق والباطل باعتبار أن ذلك من سنة الحياة ... هذه الأمثلة وغيرها توضح واقعية الشريعة الإسلامية في تعاملها مع الإنسان ، ومن هذه الواقعة جاءت أحكام الزواج والطلاق، وحقوق وواجبات الزوجين والأبناء، كما جاءت منها أحكام النفقة والميراث والمسئولية الوالدية.

وهذه الوقائع في الشريعة الإسلامية لابد أن تمارس من خلال الأسرة ويتعلم الأبناء أن الدين يسر وليس عسراً، وأن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمه، لأن ذلك يتجاوب مع واقع الإنسان.

إن الأسرة لابد أن تتعامل مع أحكام الشريعة بكل أحوالها سواء في أوقات انسجامها أو خلافاتها ، والتعامل بتلك الأحكام يعطي دلالات واضحة على واقعية تطبيق الشريعة في جميع الأحوال فقد جاءت الشريعة للتعامل مع حياة البشرية، وحياته ذات أحوال متقلبة ، وليست على وتيرة واحدة ، فجاءت أحكام الشريعة الإسلامية شاملة لتلك الأحوال، فلكل سؤال جواب ، فإن لم يكن هناك جواب تجد المسألة تبيح الاجتهاد لمواجهة المستجدات من الحياة.

إن التعامل بأحكام الشريعة داخل محيط الأسرة هي اللبنة الأولى التي تعطي للشريعة صلاحيتها عند الناس ، وإمكانية تطبيقها في مجتمعاتهم ،خاصة إن كانت تلك الأحكام أدوات لحل مشكلات الواقع التي تواجه الأسرة ، إن مهمة استكمال تطبيق الشريعة تبدأ من الأسرة، تفعيلاً لأحكامها وتطبيقاً لتعليماتها في واقع الأسرة وممارسة لأوامرها ، وقبولاً بنتائجها، ليعرف الناس إمكانية تطبيق أحكام الشريعة في مجالات الحياة الواسعة.

<u>٤- الإنسانية :</u>

فالشريعة الإسلامية ذات مغزى إنساني عميق ومعان إنسانية سامية، فهي كرمت الإنسان ، وراعت كرامة الفرد منذ ما قبل ولادته وإلى ما بعد وفاته، ويتجسد ذلك فيما أوجبته الشريعة الإسلامية من أحكام الاختيار الزواجي ، وآداب معاشرة الجنسية، والعناية بالتربية ، وتوجيه الفرد إلى ما يسمو به طوال حياته ، أما عند

الممات فقد أمرت الشريعة بالصلاة على الميت ، وإكرامه بالدفن ، وذكر محاسن الموتى، وأوجبت على الدولة والمجتمع والأقارب رعاية أبناء الميت الصغار ، والحفاظ على حقوقهم .. الخ. ومن مظاهر إنسانية الشريعة الإسلامية أيضاً عنايتها بجنس الإنسان ، حيث أوجبت عدم إرهاقه (ولو بالعبادة) ، وأمرت بالتداوي عند المرض ، كما أرمت بالنظافة والعناية بالمأكل الحلال الطيب دون إسراف ، وهذبت الغرائز الحيوانية في الإنسان بما يليق بكرامته وإنسانيته مثل غريزة التملك ، والغريزة الجنسية ، كما جاءت الشريعة الإسلامية بما يثري عقل الإنسان ويدعوه إلى التأمل والتفكير وطلب العلم، وعنيت بتنظيم العلاقة بين الناس بحيث تقوم على الرحمة والشفقة والتسامح وحفظ الحقوق والالتزام بالواجبات، ودورء المفاسد، ومعاونة المحتاج، وإعانة الفقراء والمساكين والغارمين ، وأمرت بالعدل والإحسان وصلة الرحم إيتاء ذي القربى، وأعلت التمييز بين الناس وأكدت الأخوة بينهم ، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح... هذه المعاني وغيرها تجسد إنسانية الشريعة الإسلامية على المستوى المحسوس والمعنوي في شخصية الإنسان ، وهذه المعاني إذا اختلت في أي تجمع إنساني سوءا الأسرة أو غيرها – تصبح حياة هذا التجمع أقرب إلى الحيوانية منها إلى الإنسانية .

ونحن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى أن نعيش بأخوة الإسلام ، تلك الأخوة التي ترسى الحقوق والواجبات ، فالإسلام دين أخوة ، وبهذه الأخوة عاش

المهاجرون والأنصار عيشة واحدة ، وآخي الرسول بينهم واقتسموا معهم قسمة عادلة ، أي أن الإسلام جاء عامل أخوة بعد عداء ، ووحدة بعد فرقة وجمع بعد شتات ، وتآلف بعد تنافر ، فعاش المسلمون عباد الله إخواناً.

إن مهمة الأسرة في تكريم الإنسان مهمة جسيمة ، فالإنسان مكرم بغض النظر عن جنسه أو دينه أو لونه ، ولهذا فلابد من غرس احترام الإنسان ، والتعامل معه على أساس الحقوق والواجبات وإن احتقار الإنسان ليس من الدين في شيء ، ويأتي دور الأسرة من حيث الممارسة في تدعيم هذه القيمة الإسلامية ، فالإنسان مكرم بذاته (لأنه إنسان) ، وهذا يعني أن يجسد أفراد الأسرة في هذه القيمة في علاقاتهم وممارستهم داخل المنزل وخارجه.

إن احترام الإنسان وتقديره يترتب عليه مثلاً تغذية روح الألفة والأخوة بين الموجودين في البلد الواحد وإن كانوا على غير دين الإسلام ، فقد أعطاهم الله حق الاختيار (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هناك القانون الذي ينظم هذه العملية والالتزام بأحكام القانون واجب على الجميع، لكن الأهم من ذلك أن تغرس الأسرة في أفرادها قيمة احترام الإنسان ، إن استكمال تطبيق أحكام الشريعة في المجتمع الكويتي يتطلب سد تلك الثغرات التي تعمل على تنمية روح التنابذ أو التمييز أو الكراهية لشريحة اجتماعية دون الأخرى. فتطبيق الشريعة يلزم احترام الإنسان وتقديره.

٥- التناسق:

جاءت أحكام الشريعة الإسلامية متناسقة غير متضاربة ، وإنما تتكامل وتتناسق بما يحقق التوازن في حياة الأفراد والجماعات ، والواقع أن هذه الخاصية ليست قاصرة على حياة الإنسان وإنما هي شاملة للكون العريض ، فكل فلك يقع بين الشد والجذب لمجموعة من الأفلاك الأخرى ، وهو لأي أخذ مساره المنتظم المتوازن إلا بوجوده بين هذه الأفلاك وتعرضه لشدها وجذبها جميعاً : قوة تجذب عن يمين ، وأخرى تجذب عن شمال ، ثم ينتظم الكوكب في مداره المرسوم ، ولو اختل أو بطل الشد والجذب لاختل مدار الكوكب ، وقد يهوي في الفضاء، إلى حيث لا يعلم أحد ولا يستطيع أن يتصور أحد[٨] . إن خاصة التناسق بما يصحبها من تكامل وينتج عنها من توازن هي المدخل الصحيح لفهم خاصة الصراع بين المتناقضات في الحياة، لقد أعطى الله بني الإنسان أجساماً تشتهي ، وعقولاً تفكر ، وأرواحاً تحلق ساعية إلى النور ، مع إمكانية التوفيق بين هذه الجوانب الثلاثة ، ولن يقوم هذا التوفيق إلا بشيء من الصراع، شيء من التدافع حتى لنستطيع القول : إنه لولا دفع هذه القوى بعضها ببعض لفسدت النفس [٩] ، فإذا التزم الإنسان بأحكام الشريعة ، كان التناسق في أدائه ، وبالتالي يحدث

التوازن بين الجسد والعقل والروح ، وعلى مستوى الأسرة نجد هذه الأحكام تعمل بتناسق في الأداء مما ينتج عنه التوازن في الوجود الأسري، من ذلك على سبيل المثال ما أقرته الشريعة الإسلامية بشأن الميراث ، حيث تحصل الأنثى على ما يساوي نصف ما يحصل عليه الذكر ، ففي المقابل ذلك نجد أن الذكر يقع على عاتقه دفع المهر وتحمل نفقات تأثيث منزل الزوجية والأبناء في حين أن الأنثى – كزوجة ليست مطالبة بشيء من ذلك ، فكأن حصول الذكر من الميراث على ضعف ما تحصل عليه الأنثى ، يقابله تحمل الذكر لأعباء مالية لا تتحملها الأنثى ، هنا نجد التناسق في التشريعات الإسلامية بين قانون الميراث ، والنفقات والصداق بحيث تخدم مبدأ العدل المطلق الذي قام عليه الإسلام ، وعلى مستوى الأسرة أيضاً نجد نفس الفكرة فيما أقره الإسلام من حقوق وواجبات متبادلة للزوج والزوجة والأبناء على النحو الذي سنوضحه في موضع لاحق من هذا الكتاب ، بما يؤكد خاصية التناسق والتكامل في أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالأسرة.

إن استكمال تطبيق الشريعة في الأسرة يتطلب النظرة إلى تلك الأحكام بكليتها وليست مجزأة ، فهي كل متكامل يفسر بعضه بعضاً ، والتناسق بين الأحكام خاصية أساسية. فالحث على الزواج جاء بمقابل تحريم الزنا ، وطاعة الزوجة لزوجها جاءت في مقابل رعاية وحماية الزوج لزوجته في عملية تكامل بين الطرفين .

٦- الشمول : -

فالشريعة الإسلامية تشمل كل جوانب الحياة التي تؤثر في حياة الأسرة أو تنعكس عليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، أيا كان الزمان والمكان ، إنها تشمل الجانب المادي والروحي ، والعقلي والاقتصادي ، والاجتماعي ، والسياسي ، والعسكري ، على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع ، إن الشريعة الإسلامية تشمل الجانب التعبدي الذي ينظم علاقة الإنسان بربه، وهذا يتضح ي فقه العبادات كالطهارة والصلاة والصيام والحج والأضاحي والنذور والإيمان والذبائح ونحوها مما لا تعرفه القوانين الوضعية ، كما تشمل الجانب الأسري من الزواج وتوابعه ، والطلاق وآثاره والحضانة والنفقات والوصايا والميراث وغير ذلك مما يتصل بتكوين الأسرة المسلمة ثم المحافظة عليها من أسباب الشتات والانهيار ، وإعطاء كل ذي حق حقه عند الفراق بالطلاق أو التطليق أو الوفاة (فالشريعة الإسلامية تشمل ما يعرف الآن بقانون الأحوال الشخصية) كما تشمل الشريعة الإسلامية ما يسمى الآن بالقانون المدني والقانون الجنائي ، وقانون المرافعات ، والقانون الدستوري . ففيما يخص القانون المدني ، نجد أن الشريعة الإسلامية تضمنت جانب المعاملات والمبادلات المالية من البيع بأنواعه ، والإجارة ، والشركة والمضاربة والمزارعة والرهن والكفالة والحوالة والوديعة والعارية، والهبة

واللقطة والمداينة والوفاء بالالتزام وغير ذلك من أنواع العقود والتصرفات التي تعمل على تنظيم العلاقات المالية بين الأفراد وحفظ الحقوق وبيان الشروط الواجبة ، وما يحرم عمله من الصور والتصرفات ، وفيما يخص ما يعرف الآن بالقانون الجنائي ، نجد أن متضمن في الشريعة الإسلامية حيث توضح العقوبات من قصاص وحدود وتعزيز ، ويدخل قانون المرافعات ضمن ما أقرته الشريعة الإسلامية مما يتعلق بالقضاء والدعوى والشهادة والإقرار واليمين ونحو ذلك مما قصد به تنظيم الإجراءات لرفع النزاع وتحقيق العدل بين الناس ، والشريعة الإسلامية كذلك تشمل ما يعرف حالياً بالقانون الدستوري ، فهي تتضمن ما يتعلق بنظام الحكم وأصوله مثل : وجوب تنصيب الإمام وشروطه ، وكيفية اختياره وعزله، وحقوقه وواجباته، وعلاقته بالأمة وأهل الحل والعقد وحكم طاعته وحدودها وكيف يعامل من شق عليه عصا الطاعة ... إلى غير ذلك مما يقصد به تحديد علاقة الحاكم بالمحكومين وتقرير ما للأفراد والجماعات من حقوق ، ومن مظاهر شمول الشريعة الإسلامية كذلك ما تضمنته من تنظيم فعال للجانب الاقتصادي فيما يتعلق بإنتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها وتنظيم بين المال (الخزينة الإسلامية) وبيان موارده مصارفه من الزكاة والفئ والغنيمة والخراج ونحوها، وبيان حق الفئات الضعيفة في موارد الدولة وأموال الأغنياء ، وكذل بيان ما حرم الله في مجال الاقتصاد : الربا والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل ، ويرى الدكتور/ يوسف القرضاوي أن الزكاة جزء مهم من التشريع المالي والاجتماعي في

الإسلام بجانب كونها إحدى شعائره وعباداته الأساسية ، وفوق ذلك فإن الشريعة الإسلامية تشمل جانب العلاقات الدولية من خلال ما أقرته من أحكام تنظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول ، وكذل تنظيم علاقة المجتمع والدولة بغير المسلمين الموجودين في الدولة الإسلامية.

لقد انزلت الشريعة الإسلامية من عند الله عز وجل لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها وجميع مكوناتها وسائر جوانبها ، فالشريعة لا تضيق بحياة الإنسان، ولا تضيق بها حياة الإنسان [١٠]، وحسبنا أن الذي شرعها أراد لها أن تكون كذلك ، ومتى أراد الله شيئاً فلا راد لحكمه ، لقد شاء الله أن تكون هذه الشريعة كاملة:

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً" (المائدة:٣).

ووفقا لخاصية الشمول في الشريعة الإسلامية تكون هذه الشريعة شاملة لكافة حياة الأسرة، وبالتالي فإن أفراد الأسرة مطالبون بتطبيق ما جاءت به الشريعة في كافة جوانب حياتهم.

رابعاً : الأسرة في دائرة اهتمام الدين الإسلامي:

أ- أهمية الدين في حياة الأسرة :

إذا كان الشريعة الإسلامية قد شملت الحياة الأسرية بكافة جوانبها ، فإنها في ذلك تلبي حاجات الأسرة كتنظيم اجتماعي يسعى ليحيا حياة طيبة مادياً ونفسياً ، وإذا كانت الشريعة تتطلب أن يلتزم بها أفراد الأسرة ، فإن الأسرة لا تستقيم أمورها بغير الدين وقد تنبهت المجتمعات الحديثة إلى العوامل التي تزيد من قوة وكفاءة الأسرة ، ويأتي الدين في مقدمة هذه العوامل ذلك أن الدين مكون يتفاعل تفاعلاً ديناميكياً مع أنماط الثقافة بما يترك بصماته على الأفراد والجماعات والمجتمع ككل بصرف النظر عن موقع الدين على الخريطة الرسمية للسلطة ، ولعلنا نلاحظ الموجة الحالية من الدراسات النفسية والاجتماعية في المجتمع الأوروبي والمجتمع الأمريكي في محاولة الفهم الأفضل لدور الدين وتأثيره في حياة الأسرة ، ففي دراسة ضخمة قام بها واحد وعشرون عالم اجتماع في الدول الغربية مثلاً ، كان التركيز على توضيح العلاقات المعقدة التي ظهرت بين الدين والأسرة ، وأوضح هؤلاء العلماء أن توسيع نطاق المعرفة حول التأثر المتبادل بين الأسرة والأديان سوف يلقي الضوء على العمليات التي ما زالت غامضة عن الفهم على مستوى التغير الاجتماعي ، وكذلك على التساؤلات الحاسمة حول تأثير الأسرة والكنيسة على مسائل أساسية مثل الزواج والطلاق

والإجهاض والتحكم في النسل ولأطفال ودور الجنس ، وأنماط السلطة داخل الأسرة ونظم المعتقدات ، ولعل من أهم أجزاء المؤلف المذكور ما يتعلق بالأبعاد النفسية والاجتماعية للدين ، تأثير الدين في حياة الشعوب، كيفية ربط الأسرة والمؤسسات الدينية بالوجود الجيد للإنسان ، وكيف يختلف الناس أويتشابهون وفق متغير سيطرة الدين على حياتهم.

ويذهب ثورنتون (thoronton) أحد العلماء الذين شاركوا في الدراسة المذكورة إلى أن المؤسسات الدينية القيم ذات تأثير واضح على حياة الأسرة وعلى بنائها والعلاقات الداخلية فيها، كما أن التغيرات في حياة الأسرة أثرت هي الأخرى على مبادئ وبرامج التعليم الديني التي تتبناها المؤسسات الدينية في المجتمع الغربي، كما أن استجابة هذه المؤسسات للتغيرات التي طرأت على الأسرة كان لها تأثير على حياة الأفراد والأسر [١١] وظهرت أيضاً بعض الدراسات في المجتمع الأمريكي ، التي تؤكد على أنه من الإساءة للدين اعتباره مجرد عبادات فقط ، مبرزة خطورة ذلك على الأسرة الأمريكية سواء من قبل المؤسسات الدينية أومن قبل رجال الدين أنفسهم [١٢] غير أن الاهم من ذلك كله ، تعاظم قوة الاتجاه الذي يقرر – بالقول والفعل – أهمية الجانب الديني في العلاج والإرشاد النفسي للأسرة بإنقاذها من الأزمات والضغوط المختلفة ، ولعل من احدث الدراسات المعبرة عن هذه الفكرة دراسة (Vande,1991) والتي يتركز فيها على أهمية التكامل بين علم النفس والدين في غمار التعامل مع المشكلات والأزمات الأسرية [١٣]، وقد تناولت

دراسة (Stander,1994) هذه الفكرة بصورة أكثر تفصيلاً ، حيث تناقش مسألة التداخل بين العلاج النفسي والدين ، وكيف أن بعض المعالجين النفسيين تكون ممارستهم ضمن هذه المنطقة (المشتركة) بين الجانبين ، حيث تتضمن هذه المنطقة الثقافة كإطار عمل للمسائل الدينية والأخلاقيات ، ثم كيفية الربط بينها وبين برامج الطب النفسي [١٤] . أما (Burton,1992) فيري أن الخبرة العملية قد أثبتت ضرورة إدماج المسائل الدينية في العلاج النفسي الأسري إذا ما أردنا الإسراع في نجاح هذا العلاج ، لأن السياق الديني يساعد الاختصاصي على فهم مشاكل الأسرة بما يؤدي إلى كفاءة التشخيص والعلاج [١٥] . ويتضح من ذلك كله ، أن المجتمعات الغربية التي يسود فيها الإلحاد وحصر الدين في أضيق الحدود ظهرت فيها اتجاهات قوية تناقض هذا التوجه ، وتحاول أن يكون للدين دور مؤثر في حياة الأسرة ، بعد أن أدركت هذه التجمعات خطورة تقليص الجانب الديني في حياة المجتمع ، ولعل من أهم مظاهر هذه الخطورة ضعف الكيان الأسري وما يترتب على ذلك من تآكل وتدهور اللبنة الأولى للمجتمع وبالتالي تتدعم احتمالات انهيار المجتمع ككل.

وإذا كانت المجتمعات غير الإسلامية تظهر فيها حالياً قوة التوجهات التي تدعم دور الدين في حياة الأسرة، فإن المجتمعات الإسلامية هي الأجدر بأن تتبنى هذه التوجيهات التي كان من الضروري عدم التفريط فيها أصلاً ، أما وقد حدث ذلك

بفعل عوامل متعددة داخلية وخارجية على مدار حين طويل من الدهر ، فإنه قد آن الأوان لتدارك هذا الخطأ.

ب- خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة:

ينظر الإسلام إلى الأسرة نظرة دقيقة فاحصة شاملة ، تتناولها في طريق وجودها وتؤصل العلاقة بين أطرافها، وتتبنى الرعاية الكاملة لثمراتها وتنظم لها الحياة الهانئة المستقرة وذلك على أساس أن الأسرة هي دعامة المجتمع الإسلامي لأنها الحلقة الأولى من حلقات بنائه ، ولا يوجد التلاحم والتشابك بين أفراد المجتمع إلا إذا تلاحمت حلقاته على أسس صحيحة كي تسير حياة هذا المجتمع في مسارها الصحيح الذي يضمن لها الأمن والأستقرار والازدهار الاقتصادي والاجتماعي بكافة جوانبه ، ولكي تحقق الأسرة هدفها في أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض ، فقد تضمن الإسلام دستوراً متكاملاً للأسرة باعتبارها جانباً من التنظيم للقاعدة الركنية التي تقوم عليه الجماعة المسلمة، ويقوم عليها المجتمع الإسلامي، هذه القاعدة التي أحاطها الإسلام برعاية ملحوظة واستغرق تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فوضى الجاهلية جهداً كبيراً نجده في مواضع شتى بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متضمناً كل المقومات اللازمة لإقامة هذه القاعدة الأساسية على أساس متين، والنظام الاجتماعي الإسلامي نظام اسرة نلاحظ فيه كل خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوماتها وينبثق هذا النظام من معين

الفطرة وأصل الخلقة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعاً وللمخلوقات كافة، ثم تتدرج النظرة الإسلامية للإنسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان ثم الذرية ثم البشرية جميعاً، وتكشف هذه النظرة عن جاذبية الفطرة بين الجنسين لا لتجمع بين مطلق الذكران ومطلق الإناث، ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت، فهي الفطرة تعمل، وهي الأسرة تلبي هذه الفطرة العميقة في أصل الكون وفي بنية الإنسان، ومن ثم كان نظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل التكوين الإنساني، بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون على طريقة الإسلام في ربط النظام الذي يقيمه للإنسان بالنظام الذي أقامه الله للكون كله، ومن بينه هذا الإنسان ، كما حث الإسلام على بناء الأسرة ودعا الناس إلى أن يعيشوا في ظلالها لأنها الصورة المثلى للحياة المطمئنة التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجات وجوده، كما أنها الوضع الفطري الذي ارتضاه لحياة البشر منذ فجر الخليقة " **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريــة**" (الرعد:٣٨)، ففي فطرة الإنسان حاجة إلى الأسرة بجوها النفسي والاجتماعي الخاص، ومن طبيعة الحياة أنها لا تواجه الجهد المفرد الضئيل، فحياة الإنسان فرداً في هجير الحياة يواجه وحده أعباءها أمر عادة فوق الطاقة، أنها تحتاج إلى تناصر القوى وتبادل المشاعر والتعاون على حمل الأعباء ومواجهة المصاعب، وهذا يتحقق من خلال أشكال التنظيمات الاجتماعية المختلفة، والأسرة أحد هذه الأشكال، واستجابة للفطرة يحث الإسلام على الزواج،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" [١٧]، ويذهب الإسلام إلى أن يأمر بتزويج العبيد والإماء، بمعنى أن من كان له إماء أو عبيد فرض عليه تزويجهم والإنفاق عليهم إذا احتاجوا لذلك قال تعالى: " وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم" (النور:٣٢). ويحذر الإسلام من محاولة التملص من رباط الأسرة واستمراء الحياة بدون زواج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخنثي الرجال الذي يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج، والمتبتلات من النساء اللاتي يقلن ذلك [١٨]، وقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم إقرار من عزم على الانقطاع للعبادة وترك التزوج" من أحب فطرتي فليستن بسنتي، وإن من سنتي النكاح[١٩]" ، ولقد بين النبي الكريم أن النكاح والأسرة من سننه، " فمن رغب عن سنتي فليس مني [٢٠]"، في الوقت نفسه يرغب الإسلام في الأسرة ويدعو إلى تكوينها "وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم"، كما هون الأمر على من قدر عليهم الرزق وكفل لهم التوسعة والغنى "إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله"(النور:٣٢).

ويوجه الإسلام إلى البحث عن الحياة الطبيعية في رحاب الأسرة من واقع حياة الأنبياء الذين هم أصحاب السلوك الأمثل " رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك

سميع الدعاء" آل عمران:٣٨) ، " رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء" (ابراهيم:٤٠)، وهؤلاء المؤمنون يعلمهم ربهم أن توجهوا إليه بالدعاء الضارع أن يهب لهم طمأنينة الحياة الأسرية ويذيقهم سعادتها[٢١] "ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما" (الفرقان:٤٧)، وينظر الإسلام إلى الأسرة باعتبارها مجالاً تتهيأ فيه أسباب الطمأنينة. "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم:٢١) ، " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات" (النحل:٧٢). فالمشاعر والعواطف التي تنمو وتتبادل في جو الأسرة غذاء لا تستغني عنه النفس ولا يكفيها سواه، وبموجب هذا الغذاء تصبح الأسرة في وقاية من التعاسة والوحدة. والأسرة يحتاجها الإنسان في كافة مراحل نموه ، فالطفل لابد له من أن ينشأ في أسرة متحابة متماسكة حتى لا يصاب بالاضطراب في الشخصية، وحاجته إلى أمه وأبيه حاجة أصيلة لا يشبعها أي تنظيم اجتماعي آخر، والإنسان يحتاج إلى الأسرة مراهقا وشاباً ورجلاً وكهلاً لأن فيها الحماية والرعاية الاجتماعية والنفسية، وبفضلها يتكون لدى الفرد الروح العائلي والعواطف الأسرية والتنشئة الأولى للحياة الاجتماعية المنتظمة، وعلى الأسرة يقع العبء الأكبر في التربية الخلقية والوجدانية والدينية، إنها العامل الوحيد للتربية في السنوات الأولى من الحياة، ويتوقف على نتيجة دورها في ذلك نتائج دور المؤسسات التي تشارك في التربية فيما بعد.

مراجع ومصادر الفصل الثاني

(١) وزارة الأوقاف، نحو استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية سلسلة رسالة المسجد، رقم٧. (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف. ١٤١٦هـ- ١٩٩٦) ص١٥.

(٢) مناع خليل القطان ، وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية سلسلة نحو النور ، رقم ١٤ (القاهرة دار التوزيع والنشر الإسلامية . ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) ص ٩.

(٣) السيد سابق ، خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها. ط١. القاهرة : الفتح للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ- ١٩٨١م)ص٤.

(٤) اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الشريعة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، (الكويت : الديوان الأميري) ص١٦.

(٥) عمر الجيدي، التشريع الإسلامي: أصوله ومقاصده، ظ١ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٧) ص ٢٥٢- ٢٥٥.

(٦) أوضـح العلمـاء المسـلمون خصـائص الشـريعة الإسـلامية باستفاضـة، راجع في ذلك:-

يوسـف القرضـاوي ، مـدخل لدراسـة الشـريعة الإسـلامية. ط١ (القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٩١) ص ٨٧-١٤٥.

(٧) المرجع نفسه.

(٨) محمـد قطـب ، فـي الـنفس والمجتمـع ، ط ١٠ (القاهرة : دار الشروق ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣م) ص ٤٦.

(٩) المرجع نفسه . ص ٤٨.

(١٠) جمعية إحياء التراث الإسلامي ، ص ٣٠.

(١١) Arland, Thoroton, Reciprocal influences of fami-ly and religion in a chang ing world in: Darwin Lthomas (ed) the religion and family connection: so-cial science perspectives. Brigham young university religious studies Center. Ptovo. Mt. 1988. pp 27-50

(١٢) Milderd Pagelow, & Pamela Johnson, Abuse in the American family in: Annel. Horton & Judith A. Williamson (eds) Abuse and religion: when praying

isn't enough. Lexington books, D.C. Heath & company. 1988 pp 1-12.

(١٣) Hendrika kemp vande- (ed) family therapy: Christian perspectives, (Grand rapids: Backer book house, 1991)

(١٤) Valerie Stander, (et al) spirituality, religion and family therapy: competing or coplaementary worlds? American Jouranal of family therapy. V.O.L. 22 (1) 1994. pp 27-41.

(١٥) Arthur laurel Burton (ed) religion and the family: when god helps (New york: Haworth press inc. 1992)

(١٦) عكاشة عبد المنان الطيبي ، المرأة في ظلال القرآن (القاهرة: دار الفضيلة ، ١٩٩٢) ص ١١-١٢.

(١٧) رواه البخاري.

(١٨) رواه الحافظ ابن الجوزي.

(١٩) ابو يعلي في مسنده بسند صحيح.

(٢٠) رواه البخاري.

(٢١) مصطفى عبد الواحد، الإسلام والأسرة، ط٣ (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٠) ص ٢٣.

الفصل الثالث

الأسرة : سياق اجتماعي فاعل

في التأثير على الشخصية

<u>أولاً: مفهوم الأسرة ووظائفها :</u>

يصدق معنى الأسرة في اللغة على الدرع الحصينة ، وعلى أهل الرجل وعشيرته وعلى الجماعة التي تربطها أمور مشتركة ،وهذه المعاني تلتقي في معنى واحد يجمعها وهو قوة الارتباط ،وإذا كانت الأسرة . بمعنى الأهل والعشيرة هي المجتمع في صورته الصغرى ، إلا أن المعنى الحالي للأسرة ينصب على الزوج والزوجة والأبناء المباشرين غير المتزوجين ، وحسب مفهوم الدراسات الاجتماعية فإن الأسرة بهذا المعنى تكون أكثر تماسكا بسبب صغر الحجم ، كما أن العلاقات الداخلية بين أفرادها تقوم على المحبة والتفاهم(١) . وتعتبر الأسرة من أهم مكونات السياق الاجتماعي النفسي للتأثير على الشخصية حيث تمارس نفوذا كبيرا على أفرادها لأنها أول بيئة اجتماعية تتلقى الفرد وتوفر له الرعاية والغذاء ، وسائر متطلبات التنشئة الاجتماعية ، إنه أي الفرد . يتشرب وقواعد تنظيمية ويخضع لسنن وعادات وأعراف وتقاليد ، ويتفاعل تفاعلا مباشرا مع بقية أفراد الأسرة . كل

ذلك أعطى الأسرة أسبقية ، بل وأحقية في ولاء الأفراد لها ، والتعاطف بين هؤلاء الأفراد وضرورة التمسك بها كنظام اجتماعي لا غنى عنه للفرد أو الجماعة أو المجتمع. وتمارس الأسرة ضبطا اجتماعيا ذا أهمية على أفرادها، وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية، والتي بموجبها . وبالتفاعل مع الوراثة والبيئة . تتحدد السمات الشخصية لهؤلاء الأفراد.

وقد أصبحت الأسرة بمثابة الواسط الذي تعارف عليه المجتمع لإشباع غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية وبواعثه الاجتماعية ويندرج تحت ذلك : حب الحياة وبقاء النوع ، وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعي وإشباع الغريزة الجنسية وتحقيق العواطف والانفعالات الاجتماعية مثل عواطف الأبوة والأمومة والغيرية وما إلى ذلك [٢]

. فالأسرة إذا ترتبط بغرائز فطرية ،وهى أصل راسخ من أصول حياة البشر ولذلك نجد الأسرة ظاهرة عامة في كل المجتمعات ومهما اختلفت ضوابطها وقيودها من مجتمع إلى آخر ، فلن تختلف النظرة إليها كضرورة لا يستغنى عنها البشر ، إنها ترتبط بذلك الشعور الحميم الذي إذا افتقده الإنسان يعاني النقص الاجتماعي في طبيعته " كإنسان " ويعانى النقص البيولوجي الذي يؤثر في الغريزة والعقل وكافة جوانب الشخصية ،لعل هذه الفكرة توضحها وظائف الأسرة ومهامها على المستوى الفردي والأجتماعى[٣] ، فمن خلال الأسرة يتم تنظيم السلوك الجنسي

والإنجاب بما يضمن حفظ النوع الإنساني على مر العصور والأجيال ، وذلك بطريقة طبيعية أو غريزية بموجب ضوابط استوحاها الإنسان بصفته كائنا عاقلا مفكرا سواء كانت هذه الضوابط مستمدة من الأديان أو العرف أو القانون الوضعي، للأسرة وظيفة أخلاقية يتم تحديدها من خلال التعيين الاجتماعي لآداب السلوك والمعاملات التلقائية لأي عضو من أفراد الأسرة من حيث التلقين والإجبارية في التطبيق محافظة على السلوك العام لمجتمع الانتماء ، ويمكن أن تدخل ضمن هذه المعاملات المستويات المتقابلة في الأبعاد الأخلاقية كالخير والشر والفضيلة والزذيلة والجمال والقبح وما إلي ذلك من التجريدات نسبية التطبيق بين المجتمعات المختلفة .الوظيفة الثالثة للأسرة هي وظيفة سيكولوجية تتمثل في توفير الاستقرار والأمن والحماية لكافة أعضائها بغية ان تكون هناك اتجاهات ودوافع مرتبطة بها . نابعة من استجابات إيجابية للأبعاد التي تحكم الجماعة والمجتمع في آن واحد، والاتجاهات هنا ترتبط بما ينحو إليه الفرد داخل الجماعة الاجتماعية ،وهي تحدد سلوكه العام انطلاقا من الاستجابات الفردية لما يتطلبه المجتمع وتعبر عنه الجماعة ، وقد تكون للفرد في هذا المجال دوافع من نوع أو أخر تبعده عن أو تقربه من الشذوذ عن الأسرياء . الوظيفة الرابعة للأسرة هي وظيفة تربوية تقوم بها الأسرة على مر السنين والأجيال (وهناك منيعبر عن هذه الوظيفة بالتنشئة الاجتماعية) والتي بموجبها يتم تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ، فالأسرة تلقن الطفل اللغة والعادات التقاليد والدين

وقواعد العرف والأيدلوجيات بما لا يخالف الأهداف العامة للمجتمع . والوظيفة الخامسة للأسرة هى بث قيم التوحيد العائلي بين أفرادها وذلك من خلال الروح العائلي والعواطف الأسرية بما يضمن وحدة الأسرة وتماسكها ، وكل ذلك من خلال تكوين الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية والوجبات التي تفرضها الجماعة والآراء الاجتماعية التي يتعارف عليها المجتمع. أخيرا فإن الأسرة تمنح المكانة والدور لكل فرد من أفرادها بما يهيئهم للانخراط في سلوك المجتمع والمساهمة في نشاطاته المختلفة، أو بقول آخر إدماجهم ومساعدتهم على التفاعل مع الآخرين انطلاقا من مراكز معينة ، فمن البديهي مثلا إن لكل دور ومكانة واجبات والتزامات محددة بدقة في الفعل الاجتماعي داخل البناءات الاجتماعية ، والأسرة هي الأساس في تحديد أبعاد هذا الفعل من خلال الاستدماج المشار إليه ، كما تقوم الأسرة بإنماء روح المشاركة الاجتماعية من خلال المحافظة على أعضاء المجتمع وإعدادهم للعمل والتفاعل الاجتماعي والتأكيد على الشعور بالانتماء وتوفير الاستجابات المتبادلة الضرورية وبالصور الصحيحة، كما تعتبر الأسرة أهم أدوات الضبط الاجتماعي بهدف تحقيق التجانس المطلوب في المجتمع ، وهى تبعا لذلك تضع المعايير الضابطة ثقافيا لأي انحلال أو حياد ولو بمؤثر بسيط عن أبعاد التجانس ، وتعتبر وظيفة الضبط الاجتماعي من أهم وظائف الأسرة باعتباره وسائل اجتماعية وثقافية لتنظيم وضبط سلوك الأفراد

ودوافعهم إلـى الامتثـال للتقاليـد وأنمـاط السلوك ذات الدلالـة الوظيفيـة للجماعـة والمجتمع، والذي من خلاله تتم عملية ضبط المجتمع نفسه بنفسه[٤] .

ثانيا : قوة الرابطة الأسرية :

إذا لاحظنا كافة الأسس التي يقوم عليها الترابط بوجه عام ، سنجد أنها . بجانب أسس آخر. تتوفر في الأسرة باعتبارها تجمعا بشريا يرتبط أفراده بعلاقات وصلات لا يوجد لها نظير في القوة أي تجمع بشري آخر ، فالأساس المهني يربط بين أفراد الأسرة ولكن ليس بالمفهوم " السطحي " للمهنة من حيث كونها عملا يؤديه الفرد لقاء أجر أو عائد اقتصادي ، ولكنه مفهوم الوظيفة من حيث المعنى النفسي والاجتماعي والتربوي وما تقوم به الأسرة من (وظائف) في هذه المجالات الثلاثة، وأساس المصالح المادية تقوم عليه الروابط داخل الأسرة من خلال ما تؤديه من وظيفة اقتصادية، أما الترابط على أساس الفكرة أو العقيدة أو المبدأ ، فإنه يمثل أساسا قويا للترابط داخل الأسرة وهو مستمد من (الثقافة) بما فيها من الأفكار والعادات والتقاليد والقيم والاتجاهات ، وكذلك من الدين بصفة العامل الاساسى الذي يتفاعل مع الثقافة وما تتضمنه من الأنماط والمكونات الثقافية للأسرة والمستمدة من ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه[٥].

أضف إلى ذلك أن الترابط الأسري يتضمن أساس (الانتماء) إلى جماعة معنية هي الأسرة، فكل فرد يشعر بالانتماء إلى أسرته، وإن تفاوتت درجات هذا الشعور. والترابط الأسرى كذلك يتوافر فيه أساس المكان حيث تعيش الأسرة في منزل واحد

وتحت سقف واحد ، كما يتوافر فيه أساس الترابط لإنجاز مهمة محددة ذات صفة مؤقتة ولكن في إطار مهمة ممتدة ولتحقق رسالة تتخذ صفة الديمومة ، فقد يتعاون أفراد الأسرة ويتكاتفون فيما بينهم في تنظيم المنزل ، أوفي مساعدة أحد الأفراد لإنجاز مهمة خاصة به، أما الترابط على أساس المصاهرة والقرابة ،فانه جوهر الرابطة الأسرية ، حيث قامت عليه واستمرت به.

فالأسرة إذن تمثل إطار توجد فيه كل الروابط التي يمكن أن تربط الناس بعضهم ببعض، ولكنها توجد في الأسرة بصورة أوضح تجعلها أقوى رابطة إنسانية ، وما التفكك الأسرى إلا حاله استثنائية نتيجة عوامل وضغوط بعضها داخلي والبعض الآخر خارجي، ولكنها . أي هذه العوامل والضغوط وما ينتج عنها تظل في عداد الاستثناء يلقى الدعم فيبعض المجتمعات .

بهذا المعنى، فإن الرابطة الأسرية تتجسد الترابط المصيري للفرد ، لأن ارتباطه بالأسرة له طابع الاستمرار الطويل ، ولا يستطيع الفكاك منه ، فهو لا يستطيع مثلا أن يتخلص من رابطة الأبوة أو الأخوة ، وتضفي الأسرة خصائص معقدة على تلك الرابطة، ذلك أن الأسرة كشخصية اعتبارية لها أهدافها الخاصة بها، وغاياتها المحددة، وأعرافها الواضحة، وممارساتها المألوفة وتعمل على تحقيق ذلك من خلال تماسك أفرادها وترابطهم .

كما أن الأسرة في الوقت نفسه . تمكن الأفراد من تحقيق أهدافهم الخاصة وتوفر لهم الحماية والضمان.فإذا كانت العلاقات المادية في محيط الأسرة تفوق في قوتها العلاقات المادية في أي تجمع آخر ، فكذلك العلاقات الاجتماعية التي تربط الآباء بالأبناء ، فتشكل قنوات اتصال بين كافة أطراف الأسرة ، وتجعل روح التكافل والتعاون تسود بينهم.

من خصائص الرابطة الأسرية أيضاً تعدد مكوناتها ومجالاتها ، فهناك المصالح المادية المتبادلة يومياً ،وهناك الخبرات المشتركة بين أفراد الأسرة والخبرات الخاصة بكل فرد، وهناك المسكن الواحد الذي يضم كل الأفراد ، وهناك الروابط مع أسرة التوجيه ، وهناك العواطف والمشاعر الوجدانية ، فيما يتعلق بالمتطلبات المادية يسعى الوالدان والأخوة الكبار إلى توفيرها حتى يتيسر للأسرة المأكل والملبس والراحة والترفيه والتعليم والعلاج وغير ذلك من مجالات الإنفاق أما بالنسبة للخبرات ، فإننا نجد في حياة الفرد وحياة الأسرة أحداثا وذكريات وتجارب تشكل جزءاً من تاريخ الفرد وكذلك من تاريخ الأسرة ، وما الوجود ا لحاضر إلا امتداد لوجود ماضٍ تأثر بسابقه ويؤثر في لاحقه .

ويمثل المسكن رابطة قوية تجمع أفراد الأسرة ، إنه يجمع الأفراد ويوحد شتاتهم ، فهو منطلقهم وإليه يعودون فيجدون الراحة والسكينة والدفء والحنان ، ويتبادلون أحداث اليوم وآمال الغد ، ويتصرفون بتلقائية ، ويشبعون حاجات أساسية لا

يمكنهم إشباعها في أي موقع آخر لكل ذلك يمثل المسكن قمة الأمان المشترك لكل أفراد الأسرة ،ويحمل كل منهم ذكريات عن كل مكان وشيء فيه.

أما الروابط مع أسرة التوجيه ، فإن الأسرة .كما هو معروف قاعدة ترابط اجتماعي ، إنها نتجت عن المصاهرة وارتباط أسرتين ببعضهما ، ومنها وبها تتكون الأسرة الممتدة ، وعن طريقها يرتبط الأحفاد والأجداد ، وتمثل الجوانب النفسية أساسا قويا وحاسما في الترابط الأسري من عدمه ، فعلى قدر وحدة المشاعر والميول والاتجاهات بين الزوجين يكو التوافق والانسجام بينهما ، وعلى قدر الترابط النفسي بين أفراد الأسرة الواحدة ، تتحدد كفاءتها في الأداء الوظيفي بمختلف جوانبه.

ثالثاً : دور الأسرة في إشباع حاجات الأفراد :

أ . الأسرة وإشباع حاجات الأبوين :

عندما نتحدث عن الحاجات التي تشبعها الأسرة للوالدين، فنحن نعني أولا أن هناك ما يعرف " بالزواج"، فليس هناك أسرة بدون زواج. ونعني ثانياً أنه زواج مشروع من الناحية المتعارف عليها اجتماعياً، فهو علاقة جنسية بين رجل وامرأة بقصد الاستمرار والإنجاب وما يترتب على ذلك من مسئوليات، ونفترض ثالثا:

خلافات عميقة أو مدمرة للحياة الأسرية. في هذا الإطار يمكن رصد أهم " الحاجات " التي تشبعها الأسرة لطرفي الزواج (الزوج والزوجة) فيما يلي:

١ - الحاجة إلى الاستثارة الحسية :

بعد البحث والانطباعات الحسية والاستمتاع بها أحد الحاجات التي تفسر السلوك الاجتماعي للإنسان بما في ذلك الزواج وتكوين الأسرة ، وهناك كثير من الشواهد والأدلة التجريبية على أن الإنسان يميل إلى الشعور بمستوى معين من الاستثارة الحسية، فالوحدة والسكون التام يثيران فينا الملل والضيق ، ويدفعاننا إلا القيام ببعض أنواع النشاط الذي يؤدي إلى قدر معين من الاستثارة الحسية مثل الاستماع إلى الموسيقى أو مشاهدة التلفاز أو التحدث في الهاتف أو الخروج من البيت لزيارة بعض الأصدقاء .. لا شك أن الزواج وتكوين الأسرة يمثل تجارب مليئة بالاستثارة الحسية ، إن ذلك يتضمن التعارف بين الطرفين ، والتآلف بينهما وحضور الأهل والأقارب والأصدقاء وإتمام الخطوبة أو عقد القران وما يصاحب ذلك من إعداد منزل الزوجية والاحتفالات والزفاف، ثم المعيشة المشتركة بين الزوجين وإنجاب الأطفال والالتزامات والمسئوليات الأسرية ... الخ، كل هذه الأمور تمثل نوعاً من الشعور بالاستثارة الحسية ، التي وإن وجد لها بديل أو بدائل ،إلا أنها بصفة أصلية توجد في الزواج وتكوين الأسرة ، بل إن المرور بها يشكل مصيراً متفقاً عليه في أعماق كل فرد، بل وأملاً يراود كل شاب وفتاة.

إن الزواج وتكوين الأسرة يمثل تجربة فريدة من الاستثارة الحسية التي تدفع إلى هذا السلوك، وتتضح أهميتها كدافع للسلوك من إحدى الدراسات التجريبية التي طلب فيها من بعض الطلبة المتطوعين أن يبقوا أطول فترة ممكنة منفردين في عزلة بحيث يرقدون ساكنين بلا حركة إلا في أوقات تناول الطعام أو شرب الماء أو الذهاب إلى دورة المياه، وتمت تغطية أيديهم بقفازات كما غطيت أذرعهم لمنع حدوث أية إحساسات لمسية، وغطيت أعينهم بغطاء نصف شفاف لجعل الغرفة معتمة كما وضعت في الغرفة مروحة كهربية لكي يحجب طنينها أية أصوات تصدر من خارج الغرفة ، وكان الطلبة يتقاضون أجرا على القيام بهذه التجربة ، قد تبين أن هذه الحالة من العزلة والحرمان من الاستثارة الحسية بعثت في الطلبة شعوراً مكدراً لم يستطع كثير منهم احتماله ، فانقطع معظمهم عن الاستمرار فقد أفادوا بأنهم شعروا بالكدر والضيق ، كما أن بعضهم بدا في الهلوسة بعد فترة يومين أو ثلاثة أيام من بداية التجربة ، وقد فسر الباحثون حدوث تلك الهلوسة ، بأنها محاولة لتكوين خبرات حسية ذاتية للتغلب على حالة الحرمان من الاستثارة الحسية الخارجية[٦]. وإذا كانت هذه التجربة لا تخلو من دلالة لفكرة أن الحاجة إلى الاستثارة الحسية تفسر الإقدام على الزواج وتكوين أسرة، إلا أنها في الوقت نفسه ذات دلالة مهمة لتصدع الأسرة. فالحياة الأسرية الخالية من الاستثارة الحسية تكون أشد كآبة من الحياة قبل أزواج ، وقد تدفع أحد الطرفين (الزوج أو الزوجة) إما إلى البحث عن مصادر بديلة للاستثارة الحسية بصرف النظر عن

مشروعية ومحتوى هذه المصادر ، أو إلى وجود مشاكل أسرية وخلافات وربما تؤدي إلى الطلاق .

٢- *الحاجة إلى الحب :*

تمثل الحاجة إلى الحب دافعاً رئيسياً وراء إقبال الفرد . رجلاً كان أو امرأة . على الزواج وتكوين أسرة ، وقد حظي موضوع (الحب) باهتمام العديد من الدراسات النفسية ، وترى بعض هذه الدراسات أن الحب عاطفة غامضة ويصعب تحديد معناها : هل هو شيء نشعر به، أم أنه سلوك نؤديه ؟ وهل هو أعظم من أن نعبر عنه بمجرد تعريف ؟

تذهب بعض الدراسات النفسية أيضاً إلى الحب هو الرعاية والسلوكيات الإيجابية الموجهة نحو شخص آخر مع الاهتمام بكل ما فيه المصلحة الخير لهذا الشخص، وتورد بعض الدراسات تشريحاً نفسياًً لهذا التعريف، ولكنها جميعاً غير كافية لتحديد معنى الحب. غير أننا إذا حددنا إطار الحب الذي نعنيه بالإطار الأسري ، ورجعنا إلى ما كتبه العالم المسلم ابن حزم عن (الحب) سنجد أن هذا العالم أكثر إقناعاً ومنطقية فيما كتبه، يقول ابن حزم إن الحب استحسان روحي وامتزاج نفساني ناشئ عن اتصال النفوس وتعارفها في عالمها السابق قبل حلولها في الجسد وحينما تحل النفس في الجسد فإنها تميل إلى النفوس التي كانت متصلة بها في السابق .. إن نفس المحب . كما يقول ابن حزم . متخلصة ، عالمة

بما كان يشركها في المجاورة ، طالبة له ، قاصدة إليه ، باحثه عنه ، مشتهية علاقاته ، جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد .

ويتحدث ابن حزم عن دلالة الحب بين المرء وزوجه فيقول : " وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات هو الاتصال والانفصال ، والشكل يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد .. هناك التنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد ، والنزوع فيما تشابه موجود فيما بيننا ، فكيف بالنفس وعالمها الصافي الخفيف (وأصلها) المهيأ بقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار. كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان وزوجه فيسكن إليها . والله تعالى يقول " **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**" إن علة السكون أنها منه حسب نص الآية .

وعلى ضوء أفكار ابن حزم عن الحب ، ودلالة هذه الأفكار للوجود الأسري ، يتضح لنا أنه يفرق بين المحبة والشهوة ، فالمحبة تنشأن عن اتصال النفوس وتعارفها وتجانسها ، أما الشهوة فهي حب الصورة الحسنة فقط ، ويشير إلى أنواع عديدة من الحب أحدها الحب في معناه الجنسي الضيق ، ومن المؤسف أن يكون ذلك هو المعنى الشائع (للحب) في الوقت الحالي ، هذه الرؤية الضيقة تناقضها حقيقة الحب . فأفراد الأسرة قد يجمعهم حب الله ، وقد يجمعهم حب الاجتهاد في العمل ، وحب الاتفاق في الدين وحب الاعتراف بالله ومحبة القرابة

والاشتراك في المطالب ومحبة التصاحب ، كما قد تجمعهم المحبة بسر يجتمعون عليه ويلتزمون بستره ، إننا عندما نقول بأن الحاجة إلى الحب تمثل دافعا إلى الزواج وتكوين الأسرة ،فإننا نعني أن كل طرف يكون مدفوعا بعوامل الاستحسان والإعجاب والقرب والألفة والشعور بالألفة والشعور بالوحشة إذا غاب عنه وانشغال البال والشغف عليه ، هذه الأمور بتوقعها كل فرد في الأسرة من جانب الأفراد الآخرين وتحت تأثير هذا التوقع . ضمن عوامل أخرى . تصبح الحاجة إلى الحب عاملا مهما في تفسير سلوك الزواج والأسرة .

٣- الحاجة إلى الجنس :

من المعروف أن الدافع الجنسي من الدوافع الفسيولوجية ذات الأهمية الخاصة في الصحة النفسية والحياة الاجتماعية ،وقد اهتم فرويد بدراسة أثر الوظيفة الجنسية في الصحة النفسية وفسر كثيراً من الأمراض النفسية والعقلية بأنها ترجع إلى اضطرابات الوظيفة الجنسية ، والدافع الجنسي لا يتعلق . كدافع الجوع ودافع العطش . بحفظ حياة الكائن الحي ، فالكائن الحي لا يموت إذا تعطلت وظيفته الجنسية ، غير أن الدافع الجنسي يقوم بوظيفة بيولوجية هامة ، إذ إنه يعمل على بقاء النوع، فلولا التناسل لانقرضت الكائنات الحية من الوجود ، وتشير نتائج الدراسات النفسية إلى أهمية ومركزية الدور الذي تقوم به الهرمونات الجنسية في الدافع الجنسي والنشاط الجنسي لدى الإنسان ، كما تشير إلى أنهما يتأثران كثيراً

جداً بالتعليم وبالحالة النفسية والعادات الاتجاهات والعوامل الثقافية والاجتماعية ويمثل العامل الجنسي دافعاً أساسيا للزواج وتكوين أسرة ، فالزواج ما هو إلا استجابة لتكوين بيولوجي لدى الإنسان رجلاً كان أو امرأة ن ويمثل الزواج الإطار المشروع للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة وقد اهتم الإسلام بهذا الموضوع بما يحفظ بقاء النوع وحفظ الأنساب دون أنتشبع الفاحشة في المجتمع ، ويلاحظ أن الدافع الجنسي ليس هو الدافع الوحيد للزواج وتكوين الأسرة وإن كانت النظرة إلى أهميته في هذا الشأن تختلف من مجتمع إلى آخر ، وتبين الدراسات الأنثربولوجية وجود اختلافات كبيرة بين المجتمعات في السلوك الجنسي وما تضعه عليه من قيود ، فقد يسمح للأطفال في بعض المجتمعات بالتعبير عن الدافع الجنسي في ألعابهم بينما تمنع ذلك في مجتمعات أخرى، المنطق نفسه بالنسبة للشباب ، ويتوقف ذلك على المعايير والقيم الأخلاقية والدينية . غير أنه في كل الأحوال يبقـــــــــــــى الـــــــــــــدافع الجـــــــــــــنس (إشباع الرغبة الجنسية) دافعا إلى الزواج وتكوين أسرة.

٤- الحاجة إلى المعرفة والفهم :

الحاجة إلى المعرفة والفهم تشمل تحليل الخبرة وتأملها والتأليف بين الأفكار ، فالمعرفة والفهم أداتان لحل المشكلات والتغلب على العقبات وبالتالي إتاحة الفرصة لإشباع الحاجات الأساسية ، فإذا علمنا أن القدرات المعرفة (الإدراكية

والفكرية والتعلم) هي مجموعة من أساليب التكيف التي تسهم في إشباع حاجاتنا الأساسية ، فإن أي خطر يتهددها أو الحرمان منها أو إعاقة المعرفة والفهم لا تقتصر على مجال معين، ولا تتحدد بمحتوى معين فقط تتحدد بخصائص الفرد وشخصيته، ولا تتحدد بمحتوى معين ،فقط تتحدد بخصائص الفرد وشخصيته ، ولما كان التزاوج والتناسل صفة عامة بين الكائنات البشرية فإن الحاجة إلى معرفته وفهمه تكاد تكون عامة بين البشر ، وفي دراسة على عينه من الشباب في مصر ، تبين أن نسبة عالية من الجنسين يريد أن يعرف كيف يجعل أفراد الجنس الآخر يهتمون به ، كما أن غالبيتهم تود أن تعرف شيئاً عن أساليب السلوك الاجتماعي الصحيح في حضرة الجنس الآخر ، كما أنهم يودون أن يعرفوا بعض المسائل التي تتعلق بالزواج والحياة الزوجية المقبلة ، وتذهب نفس الدراسة إلى أن تنظيم محاضرات علمية عن الناحية الأسرية في أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية يمثل ضرورة قصوى يتطلبها تنظيم المجتمع ، وإلا كانت المخاطرة بإبعاد الشباب عن الحياة الأسرية[٧]، إن الحاجة إلى المعرفة والفهم تمثل (ضمن عوامل أخرى) دافعاً للفرد نحو الزواج وتكوين الأسرة ، ربما يرجع ذلك إلى ان هناك نوعا من الخصوصية في الحياة الأسرية مخاطاً بالسرية التامة خاصة فيما يتعلق بالحياة الجنسية وبعض الجوانب المتعلقة بالدور والمكانة لكل من الرجل والمرأة . هذا الجانب المحاط بالسرية هناك حب استطلاع لمعرفته وفهمه من خلال نظام مقبول هو الزواج ، من جهة أخرى فإن هذا الجانب نظراً

لكونه يرتبط بدوافع بيولوجية أخرى يدفع الفرد إلى الفهم والمعرفة المسبقة بما يعده لقبول دوره في الاجتماعي في المستقبل .

٥- الحاجة إلى الأمن :

وهي تشمل الحاجة إلى البنية والنظام والأمن والقابلية للتنبؤ ، والهدف الأول للشخص الذي يعمل عند هذا المستوى هو أن ينقص الشك ويتخلص من الريبة وعدم اليقين في حياته ، كما أن إشباع حاجات الأمن يؤكد للفرد أنه يعيش في بيئة متحررة من الخطر .

ويدرك الأفراد . بوعي أو بغير وعي . أن الأسرة مصدر لإشباع الحاجة إلى الأمن ، فإذا طبقنا الفكرة على من هم في سن الزواج نجد أن معظمهم إن لم يكن جميعهم يدرك أن الزواج وتكوين أسرة يوفر له الأمن من الوحدة ، ويجنبه اقتراف المعصية بما يترتب عليها من ثورة الضمير أو العقاب الديني والدنيوي ، وقد يترتب عليها عقاب اجتماعي ، كذلك يجد هؤلاء في الزواج وتكوين أمناً من النقد الاجتماعي العام بما له من انعكاسات نفسية خطيرة ، فالفتاة التي لم تتزود يطلق عليها لفظ (عانس) مع ما لهذا اللفظ من تأثير على حالتها النفسية ، ناهيك عن نظرة المجتمع إليها بما فيها من نقد وشك ،وقد يصل الأمر إلى تسفيه السلوك حتى ولو كان قويماً . في الأسرة والزواج أيضاً يجد الأفراد الأمن من مخاطر عدم إكمال دورة الحياة وتحقيق الرسالة الإنسانية ، كما يجدون فيهما أمناً ضد

الحرمان من الأمومة أو الأبوة ،وقد بينت الدراسات النفسية مدى قوة دافع الأمومة في توجيه السلوك الإنساني ، كما أن لهذا الدافع أساساً فسيولوجياً ،فهرمون البرولاكتين (prolcatin) الذي تفرزه الغدة النخامية له أهمية كبيرة في تنشيط هذا الدافع ،كما تبين الأبحاث النفسية أن الفكرة التي تعتنقها المرأة عن الأمومة ومركزية مسؤوليات الأم الأسرية هي التي تؤثر في قراراتها المصيرية ، ففي مجال العمل مثلا بينت أبحاث (Yarrow) أن أكثر أربعة أخماس الأمهات من الطبقة الوسطى غير المشتغلات بقين في المنزل لسبب رئيسي هو حاجة الأطفال لهن[٨] وربما لا يقل دافع الأبوة أهمية عن دافع الأمومة ، ولما كان الزواج وتكوين الأسرة هو الطريق الشرعي المتعارف عليه لإشباع دوافع الأمومة والأبوة ، فإنه يمثل جزءاً رئيسياً في تفسير السلوك الاجتماعي للإنسان ، إنه يجد فيه الطرفان إشباعاً للحاجة إلى الأمن الاجتماعي في الحاضر والمستقبل ، كما يجدان تحقيقاً لبنية اجتماعية وتوافقاً مع (نظام) أقرته الأديان والأعراف . ويجدان فيه الأمن من المواقف الاجتماعية المحبطة إذا ما تم التعرض لها .

٦ – ***الحاجة إلى الانتماء والاستقلال :***

من الشائع في الدراسات النفسية اقتران إلى الانتماء بالحاجة إلى الحب ، ولكننا ونحن بصدد تحليل دوافع الزواج وتكوين أسرة نلاحظ أن الأقرب إلى الدقة أن تقترن الحاجة إلى الانتماء بالحاجة إلى الاستقلال، . فالفرد رجلاً كان أو امرأة .

قبل أن يتزوج يكون بالفعل منمياً إلى أسرة التوجيه ، بمعنى أبويه وأخوته ويشعر بالولاء لها ، وقد يجد فيها من العطف والدفء العائلي ما يشبع لديه الحاجة إلى الحب في هذا الإطار ، غير أن الفرد يدرك . شعورياً أولا شعورياً . أنه في حاجة إلى نوع آخر من الانتماء ، الذي يمكن سميته مجازاً (بالانتماء المستقل) ، بمعنى الحاجة إلى أن ينتمي إليه أفراد آخرون ،وينتمي هو إلى كيان اجتماعي جديد ، وهذه الحاجة يتم إشباعها عن طريق الزواج وتكوين أسرة جديدة ، لقد انتقل الفرد من حالة الانتماء التابع ، إلى حالة أخرى جديدة هي الانتماء المستقل ، وبينما يظل الأول قائماً وإن كان يضعف تدريجياً بمرور الزمن ، نجد أن الثاني (الانتماء المستقل) تتثبت أركانه ويقوى مع مرور الزمن بفرض أن الحياة الزوجية والأسرية تسير سيراً طبيعياً على الأقل ، أو على الأكثر تسودها المودة والرحمة ، مع ملاحظة أن ذلك الوضع يختلف في طبيعته ومحتواه من حالة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر حسب طبيعة البناء الأسري وتفاعلاته ، غير أن الضعف التدريجي في انتماء إلى أسرة التوجيه لا يعني أنه يصل إلى حالة الاندثار والزوال ، إنه يظل قائماً من الناحية النفسية والعائلية ، فجميع الذين تزوجوا وأصبحوا آباء بل وأجداداً ، مازال لديهم شعور بالانتماء إلى آخر ، وهؤلاء بدورهم يشعرون بانتماء أبنائهم إليهم أكثر وفي الوقت نفسه يتوقعون أن يستمر هذا الانتماء ويتدعم. إنها سلسلة مترابطة الحلقات توضح أن الزواج وتكوين الأسرة يتضمن نوعاً من إشباع الحاجة إلى الانتماء والاستقلال.

٧- الحاجة إلى التفاعل الاجتماعي :

التفاعل الاجتماعي هو تلك العملية التي يؤثر فيها الناس على بعضهم البعض من خلال التبادل المشترك للأفكار والمشاعر وردود الأفعال ، وتذهب بعض الدراسات النفسية إلى أن التفاعل يبدأ لأن كلا من المشتركين في الموقف الاجتماعي بين الأب وطفله الصغير . في سياق تعلم الصغير للغة مثلاً . يستمر ، لأن كليهما يتلقى إشباعات من خلال العلاقة كما أن كليهما يتعلم من خلال التفاعل أساليب أساسية لردود الفعل تجاه الآخرين ، ويذهب جون تيبو (John thibout) وهارولد كيلي (Harold Kelley) إلى أن التدعيمات الاجتماعية أيضاً تحدد استمرار أو قطع التفاعل الاجتماعي ، فعند بدء علاقة ما يظهر كل مشترك في العلاقة جوانب متنوعة من شخصيته ملاحظاً بدقة لكيفية رد فعل الآخر تجاهها وذلك في نفس الوقت الذي يقيم فيه الملامح المتكررة لشخصية الآخر ،فإذا كانت التجارب مقبولة من الطرفين أو تبشر بالقبول يستمر التفاعل ، وإذا لم تكن كذلك تنقطع العلاقة . على مستوى الأسرة نجد أن الحاجة إلى التفاعل يستمر إذا زادت المكآفات التي يحصل عليها كلا المشتركين في العلاقة على التكاليف الناجمة عنها ، والارتباط بين الزوجين المتحابين يمنح العديد من المكافآت المتبادلة بتكلفة منخفضة ويفترض أن هذه الارتباطات المعمرة تمنح الكثير من الإشباع المتبادل . إن الأفراد قبل الزواج ، ينتمون . بطبيعة الحال . إلى جماعات متعددة يتخذ التفاعل الاجتماعي فيها

صفات معينة قد تكون مزيداً من الإيجابية والسلبية ، ولكنهم عندما يفكرون في الزواج وتكوين أسرة كثيراُ ما يكون ذلك تحت تأثير حاجات متعددة من بينها .

الحاجة إلى تفاعل اجتماعي من نوع خاص يقوم على الأحاسيس والشعور والعواطف ، فالأحاسيس هى الحياة وعدمها هو الموت ، وقد جاءت الأديان متجاوبة مع هذه الحاجة الإنسانية حين دعت الناس إلى أن يملئوا حياتهم بالحب والإحسان ، وفي الحياة الأسرية نجد الأزواج يطالبون بالإخلاص ، الزوجات تطالبن بالإعزاز والتدليل. الناس جميعا يرغبون في العواطف والأحاسيس منهم واليهم ، لأن الأحاسيس تجعل للحياة قيمة ، الجو الأسري القائم على التفاعل الاجتماعي السليم يكون مفعما بالأحاسيس ويعد الفرد إعدادا جيدا لتنظيم مشاعره، وانفعالاته تجاه الآخرين. إن الأفراد يتطلعون الى نظام أسرى يكون بمثابة المكان الاجتماعي والنفسي الأمن ، الذي يجدون فيه المظلة الواقية من المآسي والأحزان والمواقف الصعبة في الحياة

٨ . الحاجة إلى السلطة :

تتضمن السلطة معانى متعددة أهمها القدرة على التأثير في الآخرين بما يجعلهم يقدمون على سلوك معين ما كانوا يقدمون عليه لولا وجود صاحب هذا التأثير أو مصدرة ، ويعتبر بعض العلماء النفسيين مثل (أدلر وماك كليلاند) ، أن السلطة خاصة من خصائص الفاعل أو حافز يدفع الفرد نحو زيادة تأثيره على

الآخرين وعلى الأوضاع الاجتماعية ،وتمكن السلطة مع مرتبة الشخص نفسه ، ويرى ادلر ان الفرد (مسكون) بعقدة نقص فطرية يسعي إلى سدها أو تجاوزها من خلال الحاجة الى التفضل والعلو أو التسلط على الآخرين ، كما تبرز نظرية ماك كليلاند الحاجة إلى الكمال ،النجاح . هذه الحاجة تقود الشخص إلى القيام بسلوك معين بما قد يتيح له ممارسة السلطة وتذخر أدبيات علم الاجتماع العائلي بالأفكار الخاصة بالسلطة الأسرية ، ففي بعض المجتمعات تكون السلطة للأب ، بينما تكون السلطة للأم في بعض الأخر ، أما عن كون الحاجة إلى السلطة دافعا إلى الزواج وتكوين أسرة ، فذلك أمر نلمسه بوضوح في حياتنا اليومية حتي من مجرد العبارات المتداولة مثل : "ربة أسرة " أو" رب أسرة " وبصرف النظر عن سلطة اتخاذ القرار داخل الأسرة ، فإن كلا من الأب والأم يمارس نوعا من السلطة حسب طبيعة الدور المنوط بكل منهما فقد تكون الأم ذات سلطة كاملة في النواحي التي تخص الشؤون الداخلية للمنزل ، وقد يكون للأب نفس المستوى من السلطة داخل المنزل تتحدد بالأعراف والتقاليد والدين ، كما أنها متغيرة حسب مقتضيات المواقف والظروف ، وهى أيضا ذات صبغة اجتماعية إنسانية وليست رسمية إجبارية . وتتأثر بالعلاقات داخل الأسرة كما أنها قد تكون على مستوى الإحساس والشعور دون الممارسة والسلوك . ولكنها في كل الأحوال موجودة .

٩. الحاجة إلى الخضوع :

وقد عرفها البعض بأنها الحاجة إلى الإعجاب بالقائد والثناء عليه وأتباعه عن إرادة ، ويلاحظ أن ضيق نطاق هذا التعرف ومحدودية دلالته يجعله قاصرا عن تفسير مانعنية بالحاجة إلى الخضوع باعتبارها دافعا إلى السلوك الزوجي والأسرى، فالخضوع لا يعني الضرورة أن يكون لشخص ، وإنما قد يكون لمبدأ أو قيمة أو جماعة ، ومن جهة أخرى ، فإن الخضوع ليس بالضرورة أن يكون عن أرادة فقد يكون إجبار وقسرا (بالقوة) ، وقد يكون نتيجة العادات والتقاليد بل ولأديان . الحاجة والى الخضوع في المجال الأسرى تعني الاستجابة من جانب طرف معين لمطالب طرف آخر ، وغني عن البيان أن نطاق ومحتوى الاستجابة يختلف من فرد إلى آخر ، ويختلف حسب الثقافات كما يتوقف على طبيعة العلاقة بين الأطراف المشاركة فيها ، ويختلف كذلك حسب الزمن والموقف ، وترتبط الحاجة إلى الخضوع بشعور الفرد بضعفه إزاء قوي معينة ، قد تكون قوى غيبية أو طبيعية أو اجتماعية ، وعلى الرغم من أن الفرد يسعى إلى امتلاك القوة بما يعوض ما لديه من جوانب ضعف وقصور ، إلا أنه يظل لديه شعور معين بالقصور والضعف ،يختلف من فرد إلى آخر ويرى (أدلر) أننا جميعا نبدأ الحياة بمشاعر القصور لأننا نعتمد كلية على الراشدين لتحقيق البقاء ، فالأطفال يشعرون بالعجز وبأنهم لا حول لهم ولا قوة إزاء الراشدين الأقوياء الذين يعتمدون عليهم ، إن هذا الشعور بالضعف والقصور يثير في الطفل الرغبة الشديدة للبحث عن القوة حتى يتغلب على مشاعر القصور أو الدونية. غير أن ذلك لا يعنى .

حسب آراء أدلر . أن هذه المشاعر سيئة ويذهب إلى القول بأنه لكي تكون إنسانا في الحقيقة معناه أن تشعر بالقصور ، انها حاله عامة ومشتركة بين جميع البشر، وليست علامة من علامات الضعف أو الشذوذ ، بل إنها القوة الدافعة وراء جميع الإنجازات الشخصية بشرط ألا يسيطر علي حياة الفرد . والحياة الزوجية والأسرية تتضمن ليس فقط خضوع أحد الأطراف للآخر، ولكن أيضا خضوعهم لمبدأ اجتماعي أو قيمة اجتماعية كمعيار لتقييم شخصية الفرد من وجهة نظر المجتمع

١٠ . الحاجة إلى التقدير :

إن الإنسان يحتاج الى تقدير الآخرين، فهذا التقدير يبعث فيه إحساس بأنه متقبل وذو مكانة وشهرة ، كما يعلي تقديره لذاته الأمر الذي يولد في الفرد مشاعر الكفاءة والثقة والسداد وإذا تشبع حاجات التقدير يكون هناك مشاعر القصور وتثبيط الهم . ويتطلب إشباع هذه الحاجات عادة الانغماس في الأنشطة ذات النفع الاجتماعي ، غير اننا على الجانب الأخر نلمس بوضوح مدى انخفاض التقدير الاجتماعي لمن تعدو سنا معينا دون زواج ، وتبدو هذه المسألة اشد وضوحا بالنسبة للمرأة ، الأمر الذي يجعلها عرضة للقلق والتوتر واليأس

والاكتئاب، إنها ينظر إليها بم تبدل عليه ألفاظ وعبارات معينة تشير إلى انخفاض التقدير الاجتماعي، بم تشعر معه الفتاه بأنها غير مرغوبة، أن حياتها غير ذات فائدة حيث أنها (كالشجرة التي بلا ثمرة) الأمر الذي يجعل الفتاة فريسة للوهن العصبي والاكتئاب . وعلى الرغم من أن بعض الفتيات يتجاوز سلوكهن الظاهري مسألة انخفاض التقدير الاجتماعي الناتج عن عدم الزواج ،إلا إنهن يعبرن عند ذلك في السلوك الظاهري فقط وان كن يشعرن بالألم النفسي حقيقة ، وتشير الدراسات النفسية إلى أن الرجال اقل تأثرا من الناحية النفسية والسلوكية بمسألة انخفاض التقدير الاجتماعي نتيجة عدم الزواج بعد مرحلة عمرية معينة ،وأن كانوا يتعرضون نتيجة ذلك للعديد من المواقف الاجتماعية ذات التأثير السلبي الحاد ن كما تشير هذه الدراسات ،إلى أن الرجال والنساء على السواء يقعون فريسة للمعاناة النفسية والضغط الانفعالي نتيجة عدم القدير الاجتماعي الناتج عن عدم الإنجاب، وبالتالي فإن الحاجة إلى التقدير الاجتماعي تمثل دافعا للزواج وتكوين أسرة .

__١١. الحاجة إلى الإنجاز:__

تعد الحاجة إلى الإنجاز من أهم الموضوعات التي أهتم بدراستها كثيرون من علماء النفس ، وقد تزعم ديفيد ماكيلاند (David Mcclelland) وجون اتكلينسون ((John .w. Atklinsion) البحث في هذا الموضوع واستعملاكل

أساليب البحث المتاحة من قياس التخيل ، إلى التجارب المضبوطة ومن التخمينات الظواهرية (الفينومينولوجية) إلى النماذج الرياضية وأحيانا بكل هذه الأساليب مجتمعة . من خلال هذه الطرق البحثية كان يتم قياس الدرجة التي يحاول بها الشخص النجاح من أجل الشعور بإنجاز شيء ، وتبدو الحاجة إلى الإنجاز في فترة مبكرة من حياة الفرد ، وتكون هذه الحاجة بالغة التطور بحلول سن الثامنة أو العاشرة وتشير دراسات(Marian .R,Winterbottom) إلى أن هذه الحاجة تحدث بصورة أكثر تكرارا وقوة في الأسر التي تشجع أطفالها على الاستقلال والاعتماد على أنفسهم في سن مبكرة . وفي مرحلة عمرية معينة يدرك الفرد . رجلا كان أو امرأة . أن الزواج وتكوين أسرة . إنجاز أساسي على المستوى الشخصي والاجتماعي سواء من وجهة نظر الفرد أومن وجهة نظر المجتمع ، وإذا مضت فترة زمنية معينة دون أن يتزوج الفرد يكون شعوره بعدم الانجاز على هذا المستوى ، ويزداد هذا الشعور حدة كلما تقدم السن بالفرد، وفي المجتمعات العربية والإسلامية تكون الثقافة مصدر تجسيد للآلام النفسية الناتجة عن شعور الفرد بعدم الإنجاز على المستوي الاجتماعي (الزواج) خاصة بالنسبة للمرأة ، ولما كان التراث الثقافي ينتقل من جيل إلى جيل من خلال مؤسسات التنشئة المتعددة . فإن الحاجة إلى الإنجاز الاجتماعي من خلال الزواج وتكوين الأسرة تمثل أحد الدوافع الهامة التي تدفع الأفراد إلى ذلك.

١٢. الحاجة إلى تقدير الذات :

يذهب بعض علماء النفس إلي أن النزعة إلى تحقيق الذات هي نزعة أساسية تكافح ليحقق الكائن الحي ذاته ويحافظ على بقائها ويزيد من قيمتها ،ولما كان الناس جميعا . على حد قول (روجز) لديهم حاجة نظرية للبقاء والنمو وتقوية الذات ، فإن جميع الدوافع البيولوجية تندرج تحت النزعة إلى تحقيق الذات إذ إنه يتعين إشباعها كي يستمر الكائن الحي في نموه الإيجابي ، علما بأن هذه الدافعة إلى الأمام للحياة تستمر على الرغم من العقبات،ومن الناحية الاجتماعية نجد أن الدافع إلى تحقيق الذات يمثل قوة دافعة لدى الفرد في حياته ، بحيث تدفعه إلى التمايز والاستقلال ، والى أن يصبح أكث التزاما وإحساسا بالمسؤولية ، وهناك من يعرف تحقيق الذات بأنه تلبية لدعوة أوقد أن مصير أومهنة . الزواج والأسرة بمثابة تلبية لدعوة بيولوجية واجتماعية، وإنهما تلبية لقدر ومصير رسخت قبوله الأديان والأعراف وغيرها من مكونات الثقافة، كما أنها ما تلبيه لوظيفة اجتماعية هي الحفاظ على النوع من خلال التناسل ، فتحقق الذات على المستوي الاجتماعي والنفسي يرتبط في مرحلة عمرية معينة بالحالة الزوجية والأسرية للفرج، رجلا كان أو امرأة ، بمعني أن الرجل من المنظور الاجتماعي النفسي لا يشعر بتحقيق الذات بشكل كامل إلا إذا . ضمن عوامل أخرى . متزوجا وله أولاد ' كما أن المرأة من المنظور نفسه لا تشعر بأن ذاتها (كأنثى) قد تحققت إلا بوجود هذا الشرط ، ولقد كانت الانتقادات الرئيسية لنظرية ما سو. عالم النفس الشهير . أن حديثه عن تحقيق الذات لا ينسحب إلا على مجال العمل، خاصة

عندما أفاض في وصف خصائص الأشخاص المحققين لذواتهم، لقد نسي ما سلوان تحقيق الذات لا ينحصر في مجال العمل فقط وكثير من النساء العاملات يتركن العمل رغم نجاحهن الساحق فيه إذا تضارب مع دورهم كزوجات وأمهات ، كما أن العديد من الرجال الذين حققوا ذواتهم على المستوي المهني وذاعت شهرتهم الأفاق ، كانوا من أتعس الناس نفسا بسبب عدم قدرتهم علي تحقيق ذواتهم في المجال الزوجي والأسرى . وعلى الرغم من ان إدراك أهمية الزواج وتكوين أسرة كعامل ضمن عوامل تحقيق الإنسان لذاته، إلا أن هذا الإدراك يكون كامنا أو غامضا بعض الشيء في المراحل العمرية الأولى من حياة الشخص ،ولكنه يظهر بصورة قوية منذ مرحلة البلوغ باعتباره دافعا للزواج وتكوين أسرة .

١٣ . الحاجة إلى المجاهدة :

إنها حاجة الفرد إلى الكفاح للتغلب على الضعف والاحتفاظ باحترام الذات،فالإنسان في حاجة إلي أن يجاهد ويكافح إما لتحقيق هدف أو رسالة أو مبدأ أو قيمة أو حتى لمجرد الاستمتاع بالحية ، ومن الطبيعي أن يختلف الكفاح في مضمونه وشدته من فرد إلى آخر حسب الجنس السن والمستوى الطبقي وغير ذلك من العوامل ، ولكن تبقى الحاجة إلى المجاهدة من الدوافع التي تفسر الكثير من سلوكيات الفرد. وفي القرآن الكريم ما يشير إلى أن هذه الحاجة فطرية في الإنسان ، ويتضح ذلك من قول الحق سبحانه : "لقد خلقنا الإنسان في كبد"، اى

في مكابدة ومجاهدة ، والتي قد تتخذ صورا متعددة وأساليب مختلفة من بينها الكفاح المثابرة ،ولا تنفصل هذه الفكرة بأيه حال من الأحوال عن دوافع الزواج وتكوين أسرة، فالشاب أو الفتاة يعرفان جيدا . بدرجات متفاوتة . أن الزواج يتضمن التزاما ومسؤولية وقيودا ، وفي كثير من الأحيان يتطلب مضاعفة الجهد في العمل (المهنة) لتوفير مستلزمات المعيشة ،ويعرفان كذلك مدى المشقة التي تتطلبها تربية الأطفال من رعاية نفسية وصحية وتعليم وكساء وغذاء ...الخ ، وعلى الرغم من إدراك كل هذه الصعوبات وغيرها ، إلا أن الأفراد يقبلون على الزواج لتكوين الأسرة، أحد جوانب تفسير ذلك يتمثل في الحاجة إلى المجاهدة ، ليس فقط لأنها من تكوين الإنسان ، ولكن أيضا من مفهوم تقييم الناتج المتحصل علي ضوء الجهد المبذول ولعل هذا يفسر لنا بعض جوانب رفض الفتاة الزواج من شخص معين وترحيبها بالزواج من شخص آخر ، وكذلك الأمر بالنسبة للفتى ، إن الفرد . رجلا كان أم امرأة . يدخل في عملية تقييم معقدة ، تتدخل فيها عوامل نفسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وبيولوجية وينتهي إلى رفض الشخص وليس إلى رفض مبدأ الزواج مطلقا ، اللهم إلا في الحالات النادرة والتي غالبا ما تكون مرتبطة بأمراض نفسية ن إن عدم رفض المبدأ ن أو حتى تأجيل تنفيذه يؤكد الحرص عليه، ويفسر ذلك بعوامل عديدة من بينها الدافع إلى المجاهدة.

١٤ . الحاجة إلى المعاضدة :

يقصد بها حاجة الفرد إلى دعم الآخرين ومساعدتهم له ، وإلى أن يدعم الآخرين ويساعدهم، أي الحاجة إلى المعاضدة المتبادلة على المستويين السلوكي المعنوي ، لاشك أن الفرد . رجلا كان أو امرأة . يتوقع أن يجد نوعا من الإشباع لهذه الحاجة في إطار الأسرة ،فالأب يترجم مسؤوليته تجاه الأولاد والزوجة إلى واقع عملي من الرعاية الاهتمام من خلال مسالك عديدة مثل الإنفاق ومتابعة دروسهم واصطحابهم إلى أماكن الترفية ...الخ والزوجة تترجم مسؤوليتها تجاه الزوج والأولاد إلى واقع عملي خلال الرعاية اليومية لشئون المنزل بمعنى آخر يصبح القيام بدور الأب ودور الأم تجاه الأسرة مصدر إشباع للحاجة إلي المعاضدة من خلال (العطاء) ، أي أن لأداء الدور انعكاسات نفسية ممثلة في إشباع حاجة معينة ، وتختلف درجة الأفراد الأخريين بالأسرة . أما جانب (الأخذ) بمعنى الحصول على المعاضدة والدعم من الآخرين ،فإنه يتمثل في توقع الزوجة موقفا إيجابيا من الزوج وتوقع الزوج موقفا ايجابيا من الزوجة ، وكلاهما يتوقع موقفا إيجابيا من الأبناء. والموقف الإيجابي تتعدد أشكاله ومحتوياته ودرجاته بدءا من الثناء والتقدير انتهاء بالأفعال والسلوكيات التي تعبر عن الاهتمام والتعاون. وفي ظروف معينة يتوقع الزوج كما تتوقع الزوجة الحصول على الدعم والمساندة من أسرة التوجيه ، سواء كانت ظروفا سارة أو غير سارة ، في الوقت نفسه يتوقع الآباء الحصول على مساعدة ودعم الأبناء لهما في المستقبل ، بعد أن يتقدم بهما العمر ، ويصبح كل منهما في حالة من الضعف . إن الحاجة إلى المعاضدة

تتضمن بعض جوانب المشاركة والتعاون ، كما يتداخل فيها الأخذ والعطاء ، الحاضر والمستقبل ، الجوانب السلوكية والانعكاسات النفسية .

١٥ . الدوافع الجمالية :

تنظر الدراسات النفسية إلى الدوافع الجمالية على أنها تشمل الموسيقى والفن والشعر ، الجمال كقيمة ودافع في الوقت نفسه. غير أننا يمكننا التوصل إلى فهم أفضل للدوافع الجمالية في الزواج وتكوين أسرة من خلال الربط بين الرؤية الفلسفية والرؤية النفسية.

يصنف بعض الفلاسفة القيم التي تضبط سلوك الإنسان تحت معاني أساسية هي الحق والخير والجمال في مقابل الأوجه الثلاثة التي تحلل بها علماء النفس حياة الإنسان الواعية وعى الإدراك والسلوك والوجدان. فالإدراك يحدث حالة شعورية تضعف أو تشتد وفق خطورة الموقف الذي يحيط بالفرد ويتصرف الفرد على النحو الذي يحقق له ما يبتغى ، والغرض في الإدراك أن يكون صحيحا لا مضللا حتى يجيء السلوك آخر الأمر على أساس سليم ، ومن هنا كانت قيمة

الحق في حياة الإنسان ، فهو يريد أن يعلم ما هناك على وجه الدقة واليقين ،وعلى الحق يبنى الإنسان علمه، ، وعلة علومه يبني حياته المادية كلها . هذا عن قيمة الحق وما يقابلها من معني الإدراك . أما عن قيمة الخير وما يقابلها من السلوك ، فإن هدف الفرد أن يجيء سلوكه محققا لأهدافه، والسلوك الصحيح (أفضلية) وهذا يعنى السلوك الذي تدل على خبرة الإنسان أنه خير ما يحقق الأهداف ،الإنسان يقيس صواب السلوك بمقياس الخير الذي يترتب على فعله فالخير إذن قيمة ترشد السلوك . أما عن الوجدان فهو مجازا الحلقة الوسطى بين الإدراك والسلوك، وهناك نجد أن الإنسان يبتغى لنفسه أن تجيء الحالة الوجدانية بما يشيع في نفسه الطمأنينة والرضا، فنراه على هذا الأساس يختار ثيابه ومسكنه ويبدع الفنون صوتا ولونا ونحتا وعمارة . إن الجمال أحد قيم ثلاث تدور عليها حياة الإنسان دوران الرحى حول قطبها ،وعلى الرغم من أن الحاجات الجمالية التي يشبعها الزواج وتكوين أسرة قد تبدو غير واضحة في نظريات الدافعية ، إلا أن مظاهرها موجودة ربما بدرجة تفوق الحصر، وينظر الأفراد إلى حياتهم الزوجية والأسرية في بعض جوانبها على أنها لا تخلو من الجمال الفني والجمال الطبيعي ، تستهدف الخلف والإبداع ، أو تقنع بالتقدير والتذوق ، وإذا افتقدت ما يعبر عن ذلك يكون هذا الافتقاد مصدرا للتوتر وفقدان الاتزان ، وقد يترتب عليها إخفاق مشروع الزواج أو تداعي الحياة الأسرية ، شيء جميل في حياة المرأة عندما يتقدم لخطبتها شاب تتوافر فيه ما كانت تتمناه، المنطق نفسه بالنسبة

للرجل ، مرحلة الخطوبة بما فيها من تعارف وتآلف ، تأثيث منزل الزوجية بما يضفي عليه مسحة جمالية تناسب العرس ، حفل الزفاف وإتمام الزواج ، الحمل وإنجاب الأطفال ، السكينة والمودة والرحمة في العلاقة بين الزوجين ، ترتيب المنزل بنظام معين .. إلخ كل هذه الجوانب وغيرها يأملها الفرد . رجلا كان أو امرأة . وكثيراً ما تكون دافعاً قويا للزواج ، ويتخوفون من افتقادها . إنهم يتطلعون إلى نوع من الانفعال ، ويتخوفون من افتقادها، إنهم يتطلعون إلى نوع من الانفعال الجمالي القائم على الانسجام والتوافق بما يعلي شأن قيمة الإنسان وهنا نجد اقتران القيم الجمالية بالجانب الذاتي القائم على التأثير بالمواقف والاستمتاع بما فيها من جمال ، هذا التأثير والاستمتاع ربطة الفلاسفة بالعقل ، خاصة الفلاسفة الذين ارتكزت رسالتهم على فكرة (جمال) الإنسان ، لقد كشفوا عن إيمان عميق باعتباره كائناً جمالياً ، إنهم يرون الإنسان ليس مجرد حيوان ناطق وإنما هو إنسان وتكمن إنسانيته في تمتعه بالعقل الكلي الذي لا ينحصر في ذاتيه الجزئية ، كما أن جميلُ لأنه يجمل حياته بالعقل ويحاول أن يصل إلى الكمال ومجرد محاولته تلك . تبرهن على أن النقص جزء من النسيج البشري.

ب . دور الأسرة في إشباع حاجات الطفل :

يرى بعض علماء النفس المحدثين أن خبرات الطفولة المبكرة تترك آثاراً دائمة في شخصية الفرد ، وقد عنوا عناية خاصة بخبرات الرضاعة والتبرز

والجنس وأثرها في شخصية الراشد ، وقد اقترحوا مجموعة طرق لتربية الطفل ويرون أنها تضمن نمو شخصيته نمواً سويا ،إنهم مثلا فضلوا الرضاعة من ثدي الأم على الرضاعة من الزجاجة ، وقالوا بوجوب التأخر في تدريب الطفل على إخراج فضلاته ، كما قالوا بعدم فرض جدول قاس بمواقيت إطعام الطفل غير أن التجريب لم يؤكد صحة هذه النظريات دوما ، وتتفق الدراسات النفسية الأكثر إمبيريقية على أن نمو الطفل متكيفاً تكيفاً حسنا ،وكينونته راشداً صالحاً يتوقف على مدى إشباع الحاجات العضوية والحاجات النفسية ن وسوف نتناول أهم الحاجات النفسية التي تتيح الأسرة إشباعها للطفل:

<u>١ – الحاجة إلى الانتساب والانتماء :</u>

إن الطفل بحاجة ماسة إلى الأب والأم لينموا نمواً سوياً ، فإذا كان غياب أحد الوالدين غياباً طويلاً يضع الطفل ويجعله يحن إلى الغائب العزيز فماذا يحل به إذا غاب عنه أبواه معاً أو تخليا عنه ؟ إن الانتساب لوالدين أو" لأسرة " هو حق أساسي للطفل ، ولنا أن نتصور مدى المعاناة إذا اكتشف الفرد أنه كان لقيطاً أو كان أ بواه مجهولين ، إنه يشعر بذل شديد واحتقار للنفس قد يؤثران في مجرى حياته وطباعه ويجعلانه محباً للعزلة والانطواء والبعد عن الأقران والمجتمع حزيناً حتى اليأس[٩].

٢ – الحاجة إلى الأمن :

إن الطفل يشعر بخوف غامض يستولى عليه ولا سيما إزاء الغرباء ، وفقدان الشعور بالأمان يسبب قلق الطفل وخوفه وعدم استقراره ، ولذلك يشعر بالحاجة لأن يلجأ إلى حضن أمه ولكي يكون قرب والديه حتى يشعر بالأمان ويتقي شر المجهول. ويكون على الأم الدول الأكبر في إشباع حاجة الطفل إلى الأمن خلال العامل الأول ،وسرعان ما تصبح مسؤولية بقية أفراد الأسرة . الأب والأخوة الكبار للطفل ، ومن خلال رعاية الطفل وتغذيته والاهتمام به ومداعبته يشعر بالحماية والأمن تجاه أي مصدر تهديد ، ويشعر بالأمان على حاضرة ومستقبله ، وما لم تتوافر هذه العوامل في المناخ العائلي يصبح الطفل أكثر عرضه للاضطراب النفسي والسلوكي .

٣–الحاجة إلى الحب والمحبة :

وهي من أهم الحاجات الانفعالية التي يسعى الطفل إلى إشباعها ، إنه في حاجة إلى أن يشعر بحب الآخرين له ،وأن يحب الآخرين ، فالحب المتبادل بين الطفل ووالديه وأخواته وأقرانه وغيرهم من المحيطين به يمثل حاجة أساسية لصحته النفسية ، كما أن الطفل يريد أن يشعر أنه مرغوب فيه ،وأنه ينتمي إلى جماعة ودودة ، إلى بيئة اجتماعية صديقة ، إنه يحتاج إلى الصداقة والحنان وما

لم تشبع هذه الحاجة لدى الطفل يصبح عرضة للاضطراب النفسي وسوء التوافق لأنه محروم عاطفياً.

٤- الحاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه :

فالرعاية والتوجيه تكفل للطفل تحقيق مطالب النمو النفسي والجسمي على النحو السليم ، ويكون إشباع هذه الحاجة من خلال تعبير الوالدين عن سرورهما بالطفل وتقبله والفخر بدورهما كوالدين ، مع إحاطة الطفل بالحب والرعاية والاهتمام . ويلاحظ أن انشغال الوالدين عن الطفل ، أو عدم وجودهما . أحدهما أوكليهما . بجواره لسبب أو لآخر لا يتيح الفرصة للطفل في تحقيق المستوى الجيد من النمو في أبعاده المختلفة .

٥- الحاجة إلى الاستقلال واحترام الذات :

إذا كان الطفل في حاجة إلى رعاية الآخرين وتوجيهاتهم ، فإنه ينحو في نموه إلى الاستقلال والاعتماد على النفس، إنه يحتاج إلى تحمل بعض المسئوليات وإلى قدر من الحرية في أجاء بعض الأعمال بنفسه دون معونة من الآخرين فإذا كانت الأسرة تتيح للطفل هذه الفرصة ،وتشجعه على التفكير الذاتي المستقل، وتعامله على أن له شخصيته المستقلة ووجهة نظره الخاصة في بعض الأمور ، فإنها تشبع فيه الحاجة إلى الاستقلال والاعتماد على النفس ، إنه يحتاج

إلى تحمل بعض المسئوليات وإلى قدر من الحرية في أداء بعض الأعمال بنفسه دون معونة من الآخرين فإذا كانت الأسرة تتيح للطفل هذه الفرصة، وتشجيعه على التفكير الذاتي المستقل، وتعامله على أن له شخصيته المستقلة ووجهة نظره الخاصة في بعض الأمور ، فإنها تشبع فيه الحاجة إلى الاستقلال . من جهة أخرى يشعر الطفل بالحاجة إلى المكانة واحترام الذات،وأنه جدير بالاحترام وأنه كفء يحقق ذاته ويعبر عن نفسه في حدود إمكاناته وقدراته ، وهذا يصاحب عادة احترامه للآخرين ، والطفل يسعى للحصول على المكانة المرموقة التي تعزز ذاته وتؤكدها ، وهنا يأتي دور الأسرة في إتاحة الفرصة للطفل أن يقوم بالأشياء التي تبرز ذاته ويستخدم فيها قدراته استخدما بناءً ، كما يتعين أن يعبر الوالدين عن احترامهما وتقديرهما لإنجازات الطفل .

٦ –الحاجة إلى تعلم المعايير السلوكية :

إن الطفل يحتاج إلى تعلم المعايير السلوكية نحو الأشياء والأشخاص ويحتاج إلى المساعدة في تعلم حقوقه وواجباته ، ماله وما عليه ،ما يفعله وما لا يفعله وكذلك يحتاج إلى معرفة ما يصح ومالا يصح وهو في خلوة أوفي جماعة، أو وهو في الأسرة أو خارج نطاقها ...إلخ ، ويقوم الكبار بإشباع حاجة الطفل إلى تعلم المعايير السلوكية ،وتقوم الأسرة ثم المدرسة ووسائل الاتصال بهذا الإشباع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ،ولكن دور الأسرة يعتبر محورياً في

هذا الشأن ، ليس فقط لأنها المؤسسة الاجتماعية والنفسية الأولى للطفل ، ولكن أيضاً لأن الطفل يقضي الغالبية العظمى من وقته في التفاعل داخلها .

٧-الحاجة إلى إرضاء الآخرين :

يحتاج الطفل إلى أن يكون الآخرون راضين عنه ، سواء كانوا من الراشدين أو الأقران ، فالطفل يرغب في إرضاء الكبار حتى يحصل على الثواب أو العائد، ويقوم الوالدان والأخوة الكبار في الأسرة بإشباع هذه الحاجة لدى الطفل من خلال إتاحة الفرصة له بأن يقوم بالسلوك الإيجابي وتشجيعه على القيام بهذا السلوك والإعراب عن الاستحسان والتقبل لأداء الطفل وتصحيح أدائه برفق . إن إشباع حاجة الطفل إلى إرضاء الآخر يساعده في تحسين أدائه برفق. إن إشباع حاجة الطفل إلى إرضاء أقرانه يكون تحت دافع جلب السرور وكسب حبهم وتقديريهم وترحيبهم به كعضو في جماعتهم ، ويكون إشباع هذا الدافع من خلال إتاحة الفرصة للطفل أن يتفاعل مع أقرانه ومشاركتهم في اللعب والعمل ، ويلعب الوالدان دوراً أساسيا في تشجيع الطفل على التعامل مع الأقران وتزويده بالقيم والمعايير التي تجعل سلوكه مقبولاً في هذا الشأن .

الحاجة إلى الإنجاز والتقدير الاجتماعي :

يحتاج الطفل إلى أن يكون الآخرين راضين عنه ، سواء كانوا من الراشدين أو الأقران ، فالطفل يرغب في إرضاء الكبار حتى يحصل على الثواب أو العائد ، ويقوم الوالدان والأخوة الكبار في الأسرة بإشباع هذه الحاجة لدى الطفل من خلال إتاحة الفرصة له لأن يقوم بالسلوك الإيجابي وتشجيعه على القيام بهذا السلوك والإعراب عن الاستحسان والتقبل لأداء الطفل وتصحيح أدائه برفق . إن إشباع حاجة الطفل إلى إرضاء الآخرين يساعده في تحسين سلوكه وفي توافقه النفسي والاجتماعي ، حيث يلاحظ في سلوكه استجابات الكبار والآخرين بصفة عامة ويحرص على إرضائهم ، كما أن يحرص الطفل في سلوكه على إرضاء أقرانه يكون تحت دافع جلب السرور وكسب حبهم وتقديرهم وترحيبهم به كعضو في جماعتهم ، ويكون إشباع هذا الدافع من خلال إتاحة الفرصة للطفل أن يتفاعل مع أقرانه ومشاركتهم في اللعب والعمل ن ويلعب الوالدان دوراً أساسيا في تشجيع الطفل على التعامل مع الأقران وتزويده بالقيم والمعايير التي تجعل سلوكه مقبولاً في هذا الشأن .

٨-الحاجة إلى الإنجاز والتقدير الاجتماعي :

يحتاج الطفل إلى التحصيل والإنجاز والنجاح ، ولذلك نجده يسعى إلى التعرف على البيئة المحيطة عن طريق الاستطلاع والاستكشاف والبحث وراء المعرفة ، وعندما يشجع الوالدان طفلهما على ذلك في ضوء توجيهات تربوية

سليمة، تكون الفرصة مواتية لتوسيع إدراك الطفل وتنمية شخصية وغرس روح الشجاعة فيه ، وعندما يعبر الوالدان عن استحسان إنجازات الطفل ، وكذلك عن تقديرهما لإنجازاته وأدائه وشخصيته، فإنهما يشبعان فيه الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير . وهذا يمكنه من القيام بدوره الاجتماعي السلم الذي يتناسب مع سنه ومع المعايير المعمول بها.

٩-*الحاجة إلى اللعب والمرح :*

إن اللعب ضروري لنمو الطفل جسمياً ونفيساً وعقلياً، وهو وسيلة هامة ليتعرف الطفل على المحيط الاجتماعي واكتشاف العالم من حوله، كما أن اللعب يكشف عن ميول الطفل ويعبر دوافعه وغرائزه وينفس عن رغباته المكبوتة بأسلوب صحيح. وفي السنة الأولى يكون لعب الطفل يكون لعب الطفل انفراديا ثم يتطور ليصبح في جماعة الأقران، ويسهم اللعب الانفرادي في جعل الطفل يعتمد على نفسه وعلى قدراته الذاتية ، أم اللعب في جماعة من الأطفال ،فإنه يجعل الطفل اجتماعياً يعتاد على الأخذ والعطاء ويقلل من نزعاته الأنانية ويخرجه من عزلته وانطوائيته ، ويتيح له الفرصة في التعبير عن قدراته بحرية ، ويعلمه المنافسة الحرة والروح الرياضية ويجلب له السرور لدرجة أن الطفل يتحمل الشدائد ويستقبلها بصدر رحب أثناء اللعب مع الأقران[١٠].

ويبرز دور الأسرة في إشباع حاجة الطفل إلى اللعب من خلال إتاحة الألعاب له، واختيار الألعاب التي تناسب عمره وجنسه، وتخصيص وقت لمشاركة الطفل ألعابه، إذ إن الطفل يسعد بذلك ، كما تقوم الأسرة بدور التوجيه الهادف ، بحيث لا يكون اللعب لمجرد اللعب ، وإنما يكون بجانب ذلك للتسلية والإمتاع وتنمية ملكات التفكير ، تنشيط قدرات الطفل الحركية والعضلية ، ومن خلال توجيه الوالدين للطفل أثناء اللعب تنمي فيه العديد من الفضائل كالتعاطف والمحبة والمساواة والتعاون واحترم حقوق الآخرين، والإيثار، والرحمة والرفق. كما تشبع الأسرة حاجة الطفل إلى المرح والانطلاق من خلال إتاحة الفرصة كي يخرج من المنزل إلى حديقة أو ناد ليجري وينطلق دون أن تحده قيود ، فالألعاب المتوفرة داخل المنزل ينتج عن عدم لقائه بأطفال من سنة يتبادل معهم أحاديث الطفولة وخيالاتها.

١٠ - الحاجة إلى الحرية:

وتشمل حرية اللعب والتسلق والجري وحرية التعبير والكلام وحرية التفكير، فالحرية من العوامل التي تساعد الطفل على النمو. لكن الحرية التي نقصدها ليست الحرية المطلقة، بل هي الحرية الموجهة والمنظمة لأن الحرية بدون توجيه وتنظيم تورث القلق، فالطفل دائماً بحاجة إلى سلطة عطوفة مرشدة، قوية ضابطة. ولا تعارض في الإطار العائلي بين الحرية والسلطة، فالوالدان مثلا يمكن

أن يتركا للطفل حرية اختيار اللعبة التي يفضلها والطعام الذي يشتهيه، ولون الثوب الذي يحب أن يرتديه... وغير ذلك من الأمور التي تتمشى مع ميل الطفل إلى ممارسة حرياته ضمن قواعد محددة بما يقيه خطر السقوط ويشعره بالأمان ، هذه القواعد بما تمثله من سلطة حافظة ،يشعر بها الطفل طبيعياً ويحب الخضوع لها حتى عندما يرفض دعوتنا له ويقول (لا)، فهذه (اللا) الرافضة لا تعبر عن إحساساته العميقة بل هي نوع من التنكيد والمضايقة ، أوهي في بعض مراحل العمر حاجة بريئة إلى إثبات الذات[١١].

مراجع ومصادر الفصل الثالث

سناء الخولى ، الأسرة في متغير (القاهرة : الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٤) ص١٧٥

زيدان عبد الباقى ، الأسرة والطفولة (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٩) ص٤

جبارة عطية جبارة ، المشكلات الاجتماعية والتربية : تشخيص ، علاج ،وقاية (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٢) ص١٣٠ . ١٣٤ .

نوال نصر ، معلم مرحلة التعليم الأساسى والضبط الأجتماعي داخل الفصل الدراسي ، مجلة دراسات تربوية ، المجلد العاشر ، الجزء ٦٩ (القاهرة رابطة التربية الحديثة ، ١٩٩٤) ص ٢٥ . ٥٦ .

Clarence Hibbs,The church as a Multigenerational relational in : Hendrika vande kemp(ed) family Ther-perspectives. Christian explora- apy: Christian system . tions in psychology (Grand Rapids : Baker Book Hous , 1991) pp 109 – 143.

محمد عثمان نجاتي ، علم النفس والحياة ، ط ١٥ (الكويت : دار القلم ، ١٩٩٣) ص ١٠١ .

أحمد زكى صالح ، علم النفس التربوى (القاهرة : دار النهضة

M.R. Yorrow Maternal Employment and childrearion (New york : lon gnan , 1961.

إلياس ديب ، عالم الولد . ط١(بيروت : دارالفكر اللبناني ، ١٩٨٦ ص ١١٥ .

عاكف يوسف صوفان . طفلك ليس انت .ط١ (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٨ ص٥٥.

. حامد عبدالسلام زهران ،علم نفس النمو : الطفولة والمراهقة ط٥ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٠) ص ٢٩٨ .

(١١) إلياس ديب ، مرجع سابق ص ١١٨ .

الفصل الرابع

الأسرة : تنظيم اجتماعي فاعل

في تطبيق الشريعة الإسلامية

الفصل الرابع

الأسرة: تنظيم اجتماعي فاعل

في تطبيق الشريعة الإسلامية

إن أي تنظيم اجتماعي لابد أن يتركز على نسق قيمي معين ، ولقد تضمن الدين الإسلامي الحنيف نسقا قيميا متكاملا للأسرة بما يضمن الحفاظ عليها قوية متماسكة بما يعود بالخير على المجتمع كله بكافة أفراده وتنظيماته الاجتماعية، ذلك أن الدين بوجه عام .كمصدر للقيم . هو ذلك الجهد الذي له من العمر ما عاشته الإنسانية نفسها، وهو الأفكار والمشاعر والآمال التي تستعر مشبوبة في صدر المؤمن لما تحمله من قيم تفوق القيم جميعا ، وتكمن أهمية الدين في عمق الشعور بتلك القيم وشدة الاقتناع بها والتي تشير الى وجود واقعي وضرورة لا مفر من مواجهتها ، ويقف الإحساس بوجود تلك القيم على قدم المساواة مع إحساس المؤمن بوجود نفسه، فالدين هو الوعي بتلك القيم والغايات والسعي دوما إلى تدعيمها والتوسع في نشر أثرها . والأشياء والأفعال وتعتمد نظرة الأديان الكونية على تعيين مراتب الأشياء ،الأفعال ومنازلها ، فثمة ما هو أسمى وما هو

أدنـي ، ومتـى عـرف ذلـك التـدرج فـي المنزلـة كـان التـزام المـؤمن إزاءها بمواقـف محددة، قد يكون منها الطقوس الشعائر والصلوات والمعاملات ، ويسلم هذا التدرج القيمـي إلـى قيمـة عليا تكون منبـع القيم جميعـا ومصـدر السلطة والإلـزام وأصـل الوحدة في كل تجليات الكون. وعمي هذا الأساس يكون الفوز في الدنيا والآخرة محسوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر بـه واجتنـاب ما تنهـي عنـه[١] ويتضـمن الـدين الإسـلامي نسقا قيميـا صـالحا لكـل جوانـب الحيـاة فـي المجتمـع الإنساني في كل عصر وفـي كل أوان بمـا فـي ذلك مـا يتعلق بالأسرة ،فـي هذا الإطار نجد أن الدين الإسلامي يعترف صراحة بالطبيعة البشرية ولا ينكر عليها مطالبها ، ويقرر أن الزواج هو النظام الذي يباح في إطـاره اتصـال الذكر بـالأنثى اتصـالا لـه صفة الأستدامة وذلك بتنظيمـه وفق كتاب الله وسنة رسوله صلـى الله عليه وسلم " بما يحتويان من أحكام تتمشى مع طبيعة البشر دون أن تحملـه ما لا تطيق ، ومن حكم تنير السبيل وسط خضم الحياة وتعين علة تحمل أعبائها .

فـي هـذا الجـو الزواجـي الإسـلامي يكـون إنجـاب الأطفـال وتنشـئتهم فـي أسـرة متماسكة متحابـة ، وفـي سبيل ذلك يضـع الإسـلام تـدابير وقائيـة وآخري علاجيـة تتضمن تحقيق هذا الهدف بما فيه صلاح الإنسان في الدار الدنيا والدار الآخرة . فإن كان الإسلام قد أباح الزواج ولم ينكر على الفطرة البشرية مطالبها ، فإنـه في الوقت نفسـه وضـع تـدابير وضـوابط مـن شـأنها تحقيـق الهـدف الأسـمى لوجـود الإنسـان وهوان يكـون خليفـة الله فـي الأرض ، فتكـون بمثابـة عاصـم للإنسـان مـن

الشيطان ومن نفسه الإمارة بالسوء ، وهذا يعني أن أى تشريع يخالف ما جاء به الإسلام في أي شأن من شؤون الحياة ،لابد أن يكون وخيم العاقبة على الفرد والجماعة والمجتمع ، فإذا نظرنا إلى ما يخص الزواج والأسرة من تدابير وضوابط إسلامية، نجد أنها تضمن كفاءة الأسرة في تحقيق أفص إشباع ممكن لحاجات الوالدين والأبناء ، كما أنها تضمن في الوقت نفسه استمرار توالد وتدفق العواطف والمشاعر بصورة متبادلة بين جميع أفراد الأسرة وهى كذلك تجعل من الأطفال قرة عين لوالديهم، وتجعل من الوالدية دعما عاطفيا ، وحماية عاطفية للأبناء ، وتحول دون الاضطراب العاطفي ، وتتيح أفضل الإمكانيات للتعبير عن العواطف وتحقيق التوازن النفسي . غير أن ذلك كله يتوقف علي الالتزام بمعاير وضوابط وضعها الإسلام كي تحقق الأسرة غاياتها وأهدافها وهى في ذلك تكون مجال وأداة في تطبيق الشريعة الإسلامية ، وسوف نناقش فيما يلى دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال المباحث الأساسية الآتية : -

المبحث الأول : تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي.

المبحث الثاني: الأسرة والتربية الإسلامية للأبناء.

المبحث الثالث: دور الأسرة في غرس مفاهيم العقيدة والعبادات الإسلامية.

المبحث الرابع : دور الأسرة في تطبيق الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرادها.

المبحث الخامس: دور الأسرة في تطبيق الأخلاق الإسلامية في المعاملات.

وفيما يلى توضيح لهذه العناصر بإيجاز :

المبحث الأول : تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجى :

يبدأ الزواج ، أي طلب المرأة للزواج منها بالوسيلة المتعارف عليها ، وهو الخطبة باعتبارها من مقدمات الزواج وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل من الزوجين على الآخر ،ويكون الزواج على هدى وبصيرة . والحكمة الإسلامية في ان يكون الزواج مسبوقا بالخطبة ، تكمن في إعطاء الفرصة لك من الخاطب والمخطوبة أن يرى كل منها الآخر رؤية شرعية ، حتى يكون الوفاق والاتفاق بينهما مبني علي المعاينة المباشرة ، ومعلوم أن نظر الرجل إلى المرأة يستتبع نظرها إليه ن فإذا قبل كل منها الآخر توطدت دعائم الزواج بينهما وعاش حياة مستقرة راضية[٢]، والقبول الذي نعنيه هو القبول الحقيقي الصادق بصورة متبادلة بين الطرفين ، كما أن الحياة المستقرة الراضية لا تعني

أن الحياة الزوجية ستكون نعيما مقيما، وإنما لابد أن تتضمن نوعا من الصعوبات وبالتالي لابد أن يكون هناك حرص وتضحية من الطرفين حتى تستقيم الحياة الزوجية ويسودها التوافق. ويعطي الإسلام المرأة . ثيبا كانت أم بكرا – الحرية الكاملة في ابدأ رأيها فيمن يخطبها، بالقبول أو بالرفض ،وليس لوليها أو أبيها الحق في إجبارها علي الزواج ممن لا تريده وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تزوج الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن"[٣] والأيم هي المطلقة أو الأرملة، واستئمارها يعنى طلب الأمر منها بعد استشارتها.

فالارتباط الزواجي لابد أن يقوم على الاختيار الحر لكل من الطرفين والمرشد الأساسي . والذي لا غنى عنه لهذا الاختيار . هو " التمسك بالدين " وتبرز لنا حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الصدد في نصحه الظفر بذات الدين " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ،فاظفر بذات الدين تربت يداك "[٤] ويؤكد نفس المعني في الرجل عندما يتقدم لخطبة المرأة " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقة فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[٥]" ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم " من اختيار شريك الحياة علي أسس آخري غير الدين " من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ن ومن تزوجها لماها لم يزده الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها ، لم يزده الله إلا دناءة [٦] "، لقد جاء الإسلام ليهذب النفس البشرية ويكبح شهواتها ، فالله عز وجل خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، ولقد كشفت النظريات النفسية

والاجتماعية(فيما بعد) إن هناك دوافع شعورية أو لا شعورية تدفع الشخص إلي اختيار الشخص الذي يجد فيه تكميل النقص، وكثير من ممن يبحثون عمن تتوافر فيهمن هذه الصفات الواردة في الحديث ليتزوجوا منهن ، إنما يؤكدون عليها لأنهم يفتقدونها في أنفسهم، فالأذلاء ينشدون العزة والفقراء يبغون الثروة والأدنياء يولعون بالحسب أم الأسوياء فهم الذين يضعون تمسك المرأة بدينها كأساس للاختيار الزواجى ، وقد قال الرسول صلى الله علية وسلم " من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها.

واذا كانت الشخصية هي ناتج الوراثة والبيئة ، فإن الدين الإسلامي الحنيف قد أحاطنا علما بهذه المسألة ونحن بصدد الاختيار للزواج ،فقد حذرنا الرسول صلى الله علية وسلم " من المرأة الجميلة التي نشأت في بيئة فاسدة ، غير سوية : " إياكم وخضراء الدمن[٧] " ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس[٨] " ، والهدف من هذا التخير تجنيب الأسرة العلل والأمراض الوراثية التي تضعف النسل وتؤدي إلى أزمات وضغوط علي الأسرة ، وآثار سيئة على المجتمع ، ويؤكد الرسول صلي الله عليه وسلم " نفس المعنى المشار إليه في حديث آخر بقوله ما معنا "اغتربوا لا تضووا " ، " لا تنكحوا القريبة فإن الولد يخلق ضاويا " أي نحيفا . أي أن الإسلام يوضح لنا الضوابط بحيث يكون النسل قويا ،وقد أثبت الطب الحديث صحة هذا الاتجاه ،

ففي حالة القرابة القريبة قل أن ينجو الأطفال من الأمراض الموجودة بالأسرة أو العيوب الموروثة ،ولكن إذا كان الزوجان من أسرتين متباعدتين ، فإنه يكثر ان ينال الأطفال خير ما في الأسرتين ، وأن يفلتوا من عيوب أهل الأب وأهل الأم[١٠]. ومما لاشك فيه أن الزواج الذي يسفر عن إنجاب يفقد الأسرة كثير من البهجة ، ويتعس الزوجين ويقلقها ، ولذلك يحرص الإسلام علي تجنيب الأسرة مثل هذه الأمور، ويحرص على التصبير بالتدابير التي تجعلها أسرة "مكتملة " ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " عليكم بالودود الولود " "لا تزوجن عجوز ولا عاقر فإني مكاثر بكم الأمم[١١]" أي أن الإسلام يرغب في اختيار المرأة الخصيبة للزواج ،ومع أن الإسلام قد وضع أمامنا الصورة المثالية للزوجة الصالحة ، إلا أنه صارحنا منذ البداية بطبيعة المرأة ، وبالتالي ما يجب ان يكون عليه معاملتنا لها حتى تستقيم الحياة الزوجية ، لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه أن " المرأة خلقت من ضلع أعوج" لاشك أن ذلك توجيه للأزواج أن يوطنوا أنفسهم على ما يعرفة كل مسلم من أن الكمال لله وحده ، وأن الزوج إن كره من زوجته خلقا رضي منها آخر أما أن يطب الكمال " وهو يعرف انه هو نفسه لم يصل الى الكمال ولن يصل إليه ، أو يصر على استعمال الشدة مع الزوجة لتحقيقه . فهذا سوف يحطم الحياة الزوجية . وعلى ضوء تعاليم الإسلام ، فإن الحياة الزوجية يجب أن يسودها التسامح والتغاضي عن بعض الأمور التي لا تمس الدين أو الفضيلة ، والوصول باللين إلى ما تعجز الشدة عنه

،لقد استوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا ، وبين لنا الإسلام أن هناك حقوقا للزوجة وحقوقا مشتركة بينهما . كما أن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنه خلقا وألطفهم أهله ،وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغمر بيته بالبشاشة والإيناس والرفق ،ومن أقواله ما معناه أن الله عز وجل يعطى علي المرفق ما لا يعطى علي الخرق ، وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير كله(١٢).

المبحث الثانى : الأسرة والتربية الإسلامية للأبناء

إن طريقة الانسان في التربية هى معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة روحه وعقله ، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض ، إن الإسلام يتعامل مع الكائن البشرى ككل ، ويأخذه بفطرته التي هو عليها دون أن يغفل شيئا من هذه الفطرة ، ودون أن يفرض عليها شيئا ليس في تركيبها الأصيل ،فيتناول الإسلام هذه الفطرة بدقة بالغة يعالج كل وتر منها ، ويضبط كل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح . والإسلام في الوقت ذاته يعالج الأوتار مجتمعة ولا يعالج كلا منها على حدة حتى لا تصبح نشازا لا تنسق فيها ، ولا يعالج بعضها ويهمل البعض الآخر ، حتى لا تصبح النغمة ناقصة غير معبرة عن اللحن الجميل المتكامل الذي يصل في جمالة الأخاذ إلي درجة الإبداع(١٣).

وقد اقتضت طريقة الإسلام في التربية علي هذا النحو (تجنيد) كافة المؤثرات التربوية بما يتناسب مع خصائص كل مؤثر ،ومع نتائج تفاعلات هذه الخصائص مجتمعة ،ومع فطرة الإنسان بما ستنتج عنه تحقيق أهداف التربية المتكاملة على النحو الصحيح . كان من الطبيعي وفق هذه الرؤية الإسلامية أن تأتي الأسرة كمؤسسة تربوية أساسية . فالأسرة تمثل أهم المحاضن التربوية وأقواها أثرا في بناء

شخصية الطفل ، إنها الوعاء الاجتماعي الأول الذي يتلقى الطفل ويتفاعل معه ويشعر الطفل بالانتماء إليه،ويتعلم منه كيف يفكر ويسلك في سعيه الإشباع حاجاته ودوافعه ، فالأسرة تسهم بالقدر الأكبر في تشكيل شخصية الطفل ورسم توجهاته في الحياة ، والطفل يعتمد على والدية اعتمادا كليا في بدايات حياته ، فو يتعلم منهما المعرفة بأنماط السلوك ،والعادات ، والقيم التي يتشربها بالمحاكاة والتقليد والتوجيه ،كما يتعلم اللغة وكيفية التعبير عن أفكار ومشاعره ويعتمد الطفل على الوالدين في غذائه وكسائه ونظافته ...الخ ، أي أن الأسرة بمثابة المجال الأول الذي يتلقى من خلاله التربية المتكاملة بدنيا ، وعقليا وإيمانيا ،ووجدانيا واجتماعيا . وقد بينت الشريعة الإسلامية أصول التربية ودور الأسرة في ذلك:-

التربية البدنية :

وهى تهدف إلي المحافظة على الجسم قويا سليما خاليا من الأمراض والعلل ، ووسيلة ذلك الغذاء الصحي والوقاية والعلاج من الأمراض وقد أولت الشريعة الإسلامية اهتماما كبيرا بالتربية البدنية علي أساس أن الإسلام دين القوة ، وتأتي قوة البدن على رأس الأخذ بأسباب القوة ، وقد أرسى الإسلام أصول التربية البدنية التي تضع الأسرة على الطريق القويم ، يتضح ذلك فيما قرره الإسلام بشأن النظافة والطعام والرياضة ،والوقاية من الأمراض والعلاج منها.

إن الأسرة المسلمة هي التي تربى أبناءها على النظافة في البدن والثوب والمكان. وهى التي تعلم أبناءها آداب الخلاء ، وكيفية الاستنجاء، والأستنزاه من البول (التطهير منه) وهى التي تعلم هؤلاء الأبناء وتعودهم على تنظيف أسنانهم بالسواك أو فرشاة الأسنان ووقاية لهم من الأمراض التي تنشأ عن إهمال هذا السلوك ، الأسرة المسلمة هي التي تعلم أبناءها الوضوء والاغتسال، وطهارة الثياب التطيب .

وفيما يخص الغذاء، باعتباره المقوم الرئيسي للتربية البدنية السليمة، فإن الأسرة المسلمة هي التي تطعم الأبناء الطعام الحلال الطيب الذي مصدره من حلال، وغير محرم، ويفيد الجسم: "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً" (البقرة:١٦٨)، إن الطعام يكون حلالاً إذا كان من طريق مشروع، ولم يكن من الأطعمة المرحمة شرعاً، ويكون طيباً إذا كان لذيذ الطعم مفيداً للجسم، نظيفاً من الملوثات، مقبولاً عند النظر إليه، مستساغاً وشهياً... ، هذه المعاني تشملها عبارة (الحلال الطيب)، والأسرة المسلمة هي التي تربي أبنائها على العادات الغذائية السليمة بما يحافظ على قوة أبدانهم:

- عدم الإسراف في الأكل:"وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" (الإعراف:٣١)، "بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"[١٤].

- الأكل عند الشعور بالجوع، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه (جوعوا تصحوا) ونستنتج من ذلك تنظيم مواعيد الطعام لما لذلك من آثار صحية شديدة الفائدة حسبما بينت ذلك الدراسات الحديثة المعنية بالتغذية والصحة.

- بدء الطعام باسم الله، والأكل باليمين: عن عمر بن سلمة قال: كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"[١٥] .

هذه الآداب الغذائية تتفق مع متطلبات قوة البدن ، ومع إنسانية الإنسان ، ومع مقتضيات الدور التربوي للأسرة المسلمة، ومن أجل التربية البدنية الصحيحة، يوجه الإسلام الأنظار إلى أهمية الرياضة، ففي أكثر من موضع نجد الحث على تعليم الأبناء وتعويدهم على ممارسة الألعاب الرياضية مثل السباحة، والرماية، وركوب الخيل، ولا يقتصر الأمر على هذه الرياضات فقط، فطالما أن الإسلام دين القوة، ويؤكد أن المؤمن القوي خير وأحب من المؤمن الضعيف ولما كانت قوة البدن أحد متطلبات القوة بوجه عام، فإن ممارسة كافة الرياضات التي تقوي البدن مباحة طالما جاءت في حدود الشرع.

ومن مقتضيات التربية البدنية حسب المنهج الإسلامي أن تحرص الأسرة المسلمة على الوقاية والعلاج من الأمراض، لقد أرست الشريعة كثيراً من أساليب الوقاية

من ال مرض عندما حددت أسس الاختيار الزواجي بما في ذلك التخير للنطف، وتفضيل الاغتراب في الزواج حتى لا تظهر الأمراض الوراثية الناتجة عن زواج الأقارب، وكذلك عندما رسخت أصول النظافة والعناية بالغذاء والرياضة ... فكل هذه الأمور وما شابهها يظهر جانب الوقاية من الأمراض، أما جانب العلاج، فإن الشريعة الإسلامية تأمر بالعلاج، وبالتالي، فإن التربية البدنية – حسب أصول هذه الشريعة – تتضمن المحافظة على الجسم وصيانته:

- عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله" (١٦).

- عن أسامة بن شريك قال: "كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعارف فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: نعم. عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إ:لا وضع له شفاء غير داء واحد هو الهرم" (١٧).

<u>التربية العقلية:</u>

العقل أفضل النعم التي أختص بها الله الإنسان، وقد عنى الإسلام بالعقل ودعا على العلم وحث على التأمل والتفكير، والتربية العقلية تتضمن تعليم الأطفال القراءة والكتابة ومساعدتهم منذ الصغر في اكتساب المهارات الأساسية وتدعيم دور المدرسة في هذا الشأن، وإثارة تأملهم وتفكيرهم وربطهم بالعلوم الحديثة سواء

من خلال مناهج المقررات الدراسية، أو من خلال تنشيط ذاكرتهم وإثارة تفكيرهم وتوجهه إلى التأمل في إيداع الخالق العظيم بحيث يشبون على طلب العلم.

ويأتي دور الأسرة في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال التربية العقلية للأطفال منذ الصغر من خلال ربطهم بكتاب الله تلاوة وحفظاً، فإن في ذلك تزويد العقل بحصيلة معرفية كبيرة دون أن يكون هناك شروط الفهم لتلك الآيات، لأن حفظ كتاب الله وترتيله هو بحد ذاته تنمية عقلية للإنسان، ومع الإصرار على حفظ القرآن الكريم منذ الصغر فإن انطلاق العقل من القيود لابد أن يكون هدفاً، فالتقيد بما ثبت من الدين ضرورة، وأما اجتهادات العلماء والفقهاء فإن العقل لابد أن يعمل عمله بها، ولا يكون عقل المسلم في قيد من تلك الأقوال، أو تابعاً لتلك الآراء، لأن التبعية بلا وعي ولا رؤية تمثل إهداراً لطاقة العقل، وتحجيماً لإمكانياته وإضعافاً لنموه في مجالات الحياة، فالحرية في التفكير أقرتها الشريعة الاسلامية، حتى يتحرر العقل وينطلق في إطار الضوابط الإسلامية، ليتأمل في خلق السموات والأرض، ويسعى إلى طلب العلم النافع.

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "علموا ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت"[١٨]. فهذا الحديث الشريف يضع أصولاً تربوية غاية في الأهمية للأسرة المسلمة وهي بصدد شرح الدروس للأطفال، فكثير من الآباء مثلاً يبدون القسوة والعقاب البدني، والانفعال عندما

يعاونون أطفالهم في الدروس، وقد يعرض الأب أو الأم المسألة بطريقة صعبة تعوق فهم الطفل لها، كما قد يتوعدانه بالعقاب والتهديد... ولو تأمل هؤلاء الآباء ما يعكسه الحديث المذكور من أصول تربوية لعاونوا أطفالهم في دروسهم على أفضل وجه. وفي سيرة السلف الصالح ما يؤكد على أهمية عناية الأسرة المسلمة بالتربية العقلية لأبنائها من خلال العلم، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مروا أولادكم بطلب العلم" ، والعلم كل ما ينفع الإنسان، وليس قاصراً على علوم الدين فقط، وإنما جاءت أحكام الشريعة للحث على العلم في كل جوانب الحياة، والشرط في ذلك أن يكون علماً نافعاً سواء للفرد أو المجتمع.

<u>التربية الإيمانية :</u>

للأسرة التأثير الأساسي والأول على شخصية الطفل فيما يتعلق بتربيته على الإيمان، إن الطفل يولد على الفطرة، أي فطرة الإسلام، ومهمة الأسرة أن تتعهد هذه الفطرة بالعناية والرعاية فتخرجها من حالة الاستعداد الكامن إلى مسار السلوك الظاهر، وهنا تكون الأسرة بمثابة القوة التي تنضج الفطرة الإسلامية في نفوس الصغار، فهذه القوة (لا تنشئ) الفطرة، ولكنها تخرجها من مكمنها أو مكامنها، لأن الفطرة خلقها الله عز وجل، وعلى الأسرة مسئولية مساعدة الطفل

على التعبير السلوكي عما فطره الله عليه ، فإذا لم تقم الأسرة بمسئولياتها هذه، أو إذا وجهتها وجهة اخرى- تكون الأسرة في موقف الإثم والخطيئة الذي يستحق عقاب الله عز وجل.

والسلوك الإسلامي هنا- أي كاستعداد فطري كامن يتعين تنميته وإظهاره- يشبه الاستعدادات الأخرى في شخصية الطفل كقدرات كامنة، فالطفل لديه استعداد للحركة ولكنه يولد عاجزاً عن الحركة والمشي، ويحتاج إلى معونة خارجية ليتحرك ويمشي فإذا فقد هذه المعونة فقد لا يتمكن من المشي المعتاد، فالمعونة الخارجية ليست هي التي أوجدت الحركة، إذ إن الحركة هي استعداد فطري لدى الطفل، وإنما المعونة الخارجية (الأسرة) عملت على تنمية هذا الاستعداد. المنطق نفسه فيما يخص فطرة الإسلام، إنها تولد مع الطفل، ووظيفة الأسرة هي أن تتعهد هذه الفطرة بالرعاية والتوجيه والتقويم، وإلا ظلت كامنة أو انحرفت عن مسارها الطبيعي، فعندما يخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإن التربية من خلال الأسرة تتضمن تنظيم الدفعات الفطرية، وفق حواجز وضوابط وإلا نشأت هذه الدفعات طاغية أو منحرفة، كالأشجار الصغيرة في مرحلة نموها لابد أن تقلم وتشذب، وإلا شبت مختلفة غير مثمرة، ولعل هذه الفكرة تتأكد من واقع ما جاء به الإسلام من أنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها : قال تعالي : " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " (الروم : ٣٠)، ويقول الرسول صلى

الله عليه وسلم ما معناه أن المولود يولد على الفطرة بأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

والفطرة في التصور الإسلامي هي أن يتوجه الإنسان إلى ربه، صادقاً في مشاعره، ملتزماً في سلوكه، مطبقاً لأحكام شريعة الله في الأرض، وتدعيم هذا التوجه يكون من خلال الرسائل التربوية اليومية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في التعامل مع كل أفراد الأسرة، فالبر للوالدين، وحسن العشرة للزوجة. والوقاية النار للأولاد، وحسن تربيتهم .. كل ذلك معان تدعم الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ويكون دور الأسرة هو تنظيم الجرعات التربوية التي تشكل الشخصية الإسلامية المسلمة.

والأسرة المسلمة هي التي تبدأ بتعليم الطفل مفاهيم العقيدة الإسلامية، بما فيها كلمة التوحيد، والشهادة لنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة، والحقائق الإيمانية والأمور الغيبية كالإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية والرسل، واليوم الآخر، وشيئاً فشيئاً تلفت الأسرة نظر الطفل واهتمامه إلى حب الله ورسوله، ومعاني الحلال والحرام، وضرورة مراقبة الله عز وجل، ودلائل عظمته وقدرته، والاستعانة به والالتجاء إليه، والخضوع له . وهكذا تتدرج الأسرة في تعليم الطفل مفاهيم ومعاني العقيدة الإسلامية بحيث يكون مهيأ لتعلم العبادات وممارستها، فتعليم الصلاة يبدأ من سن السابعة، بحيث يؤديها في سن العاشرة وإلا عوقب

على تركها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع ".[٢١]

إن التربية الإيمانية هي مسئولية الأسرة خلال السنوات الأولي من حياة الطفل، وتظل هذه المسؤولية قائمة لا يلغيها التحاق الطفل بالمدرسة، لأن دور الأسرة بجانب كونه أساسياً فإنه يصبح مكملاً لدور المدرسة في هذا الشأن، والتربية الإيمانية إذا كانت تقوم على تعليم الطفل العقيدة وبعض العبادات والأخلاق، فإنها تتطلب أن يكون الوالدان قدوة عملية صالحة في هذا المضمار.

التربية الوجدانية :

وتعني تهذيب ورعاية الأبناء من الناحية السيكولوجية على المستوي العاطفي والانفعالي، ويشمل ذلك تدريب الأطفال على ضبط انفعالاتهم، والتعبير عن مشاعرهم بالطرق المقبولة، والاستجابة للمثيرات المختلفة بالأسلوب التوافقي، وعرس وترسيخ العواطف والانفعالات والاتجاهات والميول الإيجابية في نفوس الأطفال في السياق الناس. إن الأسرة المسلمة تؤدي دورها في التربية الوجدانية للأبناء من خلال الثراء العاطفي المتبادل بين الأبوين، والتعبير عن الحنان

والحب والعطف والدفء للأبناء، واحترام كيانهم، وتقوية ارتباطهم بالأسرة، ومنحهم الاستقلال الذاتي القائم على الضبط والتوجيه النابع من آداب الإسلام وقيمه التربوية.

والتربية الوجدانية للطفل تتطلب توفير جو مشبع بالحب والحنان لينشأ الطفل سعيداً، وعدم كبت انفعالات الطفل خاصة في مرحلة الرضاعة، أما فيما بعد فيمكن توجيه الطفل إلى كيفية التعبير عن انفعالاته بالأسلوب المقبول، ونظراً لأهمية العاطفة في حياة الطفل، فقد أوصى الإسلام بذلك في أكثر من موضع، فقد جاء في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده"[٢٢].

أي أن الحنان على الطفل إذا كان من متطلبات موه النفسي، فإنه في الوقت نفسه يرفع من شأن المرأة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:" جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فمها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد أوجب له الجنة أو أعتقها من النار"[٢٣].

ولا يعنـــي ذلـك، أن الأم فقـط هـي المطالبـة بالتربيـة الوجدانيـة، والإثـراء العاطفي للطفل، بل إن الأب والأقارب أيضاً مطالبون بذلك اهتداء بسنة الرسول صلى لله عليه وسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: إن لـي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من لا يرحم لا يُرحم"[٢٤].

وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يؤكد حنانه على حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان يربط بين الحنان تجاه الأطفال وبين رحمة الله بالكبار، حتى إننا نجد في أكثر من موضع بأن عدم التعبير عن الحب والحنان للأطفال يرتبط بنزع الرحمة من القلب [٢٥].

إن استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية يلزم الأسرة بإشباع تلك الحاجات النفسية، والتي يؤدي عدم إشباعها إلى انحرافات سلوكية تنعكس أضرارها على الفرد والمجتمع، وإشباع تلك الحاجات عند الأطفال لا يمنع من ضبطها والتعامل معها في حدودها. من جهة أخرى، فإن التربية الوجدانية للطفل تتضمن وقايته من الاضطراب الانفعالي، فالغضب والاكتئاب والحزن والعزلة والخجل كلها انفعالات مكتسبة تستطيع الأسرة تدعيمها أو إزالتها أو منعها.

فالإحساس بالمسئولية – مثلاً – هو إحساس نفسي مكتسب عندما يتعلمه الطفل في صغره يتعامل به في كبره، وعندما يغضب الطفل ويترتب على هذا الغضب استجابة لطلبه فإن الغضب سيكون أداة تضغط على الأهل للاستجابة لمطالبه في كل مرة. ولهذا فإن مهمة الأسرة أن تتعامل مع تلك الانفعالات فيما يناسبها، وأن تضع في الاعتبار أثر تلك الانفعالات على الطفل في حاضره وآجله.

التربية الاجتماعية:

تعني التربية الاجتماعية – حسب الشريعة الاسلامية – تنشئة الأطفال على أخلاق وآداب الإسلام في علاقاتهم بالآخرين ، وهذه الأخلاق ذات مردود طيب على الفرد والجماعة والمجتمع على كافة المستويات، والشريعة الإسلامية جاءت شاملة وعميقة في هذا الشأن بما يناسب كافة مواقف التفاعل بين الفرد والآخرين بما يضمن الحقوق والواجبات لدرجة أنه يمكننا القول بأن السارة إذا التزمت بتنشئة أفرادها اجتماعياً حسب الشريعة الإسلامية، كانت في ذلك أداة التطبيق لهذه الشريعة الغراء، ومن أمثلة ما جاءت به الشريعة الإسلامية في هذا الشأن[٢٦].

- محبة الوالدين والإحسان إليهما، واللطف بهما، والعمل على إرضائهما، وطاعتهما فيما لا يغضب الله، والبر بهما، وابتغاء رضائهما ودعائهما الطيب، والدعاء لهما بالرحمة.

- الأخ يشد أزر أخيه ويقويه، ويرعى حقوقه، ويدعو له بالخير، ويحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه.

- صلة الأرحام، والمودة والرحمة بين الأقارب، وإيتاء حقوق ذوي القربى.

- تأكيد مبدأ الأخوة والتقوى والإصلاح في المجتمع، ومخاطبة الناس بالحسنى، وحب الجميع، وتطهير القلب من الغل والحقد والحسد.

- الجيران والزملاء ، والسائلون واليتامى، والفقراء والمحتاجون .. كل هؤلاء لهم حق الإحسان في القول والعمل، وحق المساعدة، واللطف في التعامل معهم.

- كل المسلم على المسلم حرام: دمه ، وعرضه، وماله، والمسلم مكرم في حضوره وغيبته، والمجتمع الإسلامي مجتمع طهر ونقاء.

- التسامح وإفشاء السلام ، والحلم ، والتفاهم، واللين في القول... مبادئ تحكم الحوار مع الآخرين.

- تشجيع من يستحق التشجيع، والشفاعة الحسنة لمن يستحقها، والاعتراف بمحاسن الناس... من العوامل التي تبني المجتمع وتطيب العلاقات الاجتماعية.

- الإصلاح ذات الين، والوقوف في وجه البغي والظلم والعدوان، وتحري الحقيقة، والتمسك بالعدل... من علامات الإيمان واستقامة الشخصية.

- الإعراض عن لغو الكلام، وعدم الجهر بالقول السيئ ، وعدم المناجاة بالإثم والعدوان والمعصية.

- المجاملة ورد التحية بأحسن منها، وإنزال الهداة منازلهم، والاعتراف بذوي الفضل، واستشارة أصحاب الرأي والفكر... من خصال المؤمن كريم النفس.

- النساء شقائق الرجال، ولكل دوره في المجتمع، ولا وجود لجنس دون الآخر، فلا تباغض ولا تحاسد بين الجنسين.

- الأمانة والعدل أساس البيع والشراء، والعهود يجب الوفاء بها، والتلطف مع الناس يعين على أداة المهمة ، والكتمان يساعد على قضاء الحاجة.

- المعيشة الحلال، وكسب الرزق من المصادر الحلال، تنفع المسلم وتجعله يحيا حياة طيبة.

- الاتحاد قوة والتفرق ضعف، والتنازع يذهب القوة، والتنافس في الخبرات محبوب.

- المسلم لا يظلم نفسه ولا غيره، ويرفض الظلم مع وسعه.

- التفقه في الدين، واتباع الحق، وغض البصر ، وحفظ الفرج، وحرمة البيوت، ومراعاة آداب الزيارة... كلها آداب إسلامية يجب على المسلم الحرص عليها.

- المؤمن يعزه الله ، ومن يعزه الله فلا مذل له، إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فيجب أن نلتمس العزة عند الله وحده.

هذه بعض متضمنات التربية الاجتماعية في الإسلام، وتأتي مسئولية الاسرة فيتطبيق هذه الجوانب بحيث تكون جزءاً اصيلاً في شخصية الأبناء بما يجعلهم ملتزمين بالأخلاق الإسلامية في التعامل، وهنا تكون الأسرة قد قامت في تطبيق جانب أساسي من جوانب الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث : دور الأسرة في غرس مفاهيم العقيدة

وممارسة العبادات الإسلامية

العقيدة الاسلامية هي عقيدة التوحيد والإيمان، وتتضمن الإيمان بالله عز وجل، وجوداً وتوحيداً وكمالاً، والإيمان بالملائكة، والكتب السماوية المنزلة من عند الله، كما تتضمن الإيمان بالرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، والإيمان باليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، بالإضافة إلى الإيمان بالقدرة خيره وشره، والعقيدة الإسلامية هي لب الإيمان، وتقوم عليها كافة جوانب الشريعة الإسلامية.

أما العبادات، فإن مفهومها يتسع حتى ليشمل كل عمل يتقرب به الإنسان إلى الله، فإذا كانت الصلاة عبادة، فإن العمل عبادة، وقراءة القرآن عبادة، وابتغاء مرضاة الله في أي سلوك إنما هو يندرج تحت مفهوم العبادة.

وفي مقدمة العبادات تأتي أركان الإسلام وهي – بجانب الشهادة لله بالوحدانية ولرسوله بالنبوة والرسالة – الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً . هذه العبادات ركن أساسي للإيمان، وعليها بني

الإسلام، وهي ليست طقوساً مبهمة أو سلوكيات مجهولة الهدف، وإنما تنطوي على معان عميقة شديدة الأثر في علاقة الإنسان بربه وبغيره من الناس.

فالصلاة هي عمود الدين، وهي صلة بين العبد وربه، من اقامها على النحو الصحيح فقد أقام الدين كله، ومن تركها فقد ترك الدين كله، والصلاة ليست مجرد حركات تؤدي ، وإنما هي طهارة للبدن والنفس، وخشوع لله وخضوع له، وامتثال لأمره، ويحض الدين الإسلامي – القرآن والسنة – على إقامة الصلوات في أوقاتها، ويتوعد تاركيها بشديد العذاب وضنك المعيشة لما في تركها من إعراض عن ذكر الله وابتعاد عن الدين، وللأسرة الدور الأساسي في تنشئة الأبناء على إقامة الصلاة ، من خلال تعليمهم إياها، وممارسة شعائرها، وحث الناس على الالتزام بها. وأمرهم بأدائها، فأداء الصلاة إنما هو التزام بالقانون الرباني، أما الدولة والمجتمع، فينحصر دورها في تهيئة الظروف وتسخير التسهيلات التي تساعد على ذلك، وإزالة أي عراقيل تحول دون أداء الصلاة– ولكن تبقى جهود الدولة والمجتمع محددة بالاستجابة الذاتية من جانب الأفراد امتثالاً لأوامر الله عز وجل، وهذه ليست مهمة جهة قانونية أو هيئة عامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما مهمة الأسرة التي تغرس القيم، وتمارس الشعائر، ويكون الوالدان نموذج خير وقدوة صالحة للأبناء، فتكون الصلاة جزءاً من نظام الأسرة اليومي.

أما الزكاة فليست مجرد أموال أو أطعمة أو أشياء تعطي للمحتاج، وإنما هي تجسيد لقيمة البذل والعطاء والرحمة والمودة والتعاطف والتكافل، إنها تنظيف للنفس من أدران النقص والبخل والشح، كما أنها تعبير عن التسامي بالفرد والمجتمع إلى مستوى أنبل، وقبل ذلك فهي امتثال لأمر الله عز وجل، وتتضمن الصدقة الآثار الطيبة التي تتضمنها الزكاة بل إن دائرة الصدقات أوسع بدرجة تجعلها في متناول كل أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في ارض الضلالة صدقة، وإفراغك دلوك في دلو أخيك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة [٢٧].

إن تلك الممارسات تنطلق من الأسرة أولاً، من خلال وجود نماذج تربوية، وتوجيهات إسلامية، وتدعيم نفسي لتلك الممارسات، إن إخراج الزكاة من أموال المسلم يجب أن يصحبه فرح ونشوة تعبد، تتناسب مع ما أعطاه الله للمسلم من مال حلال، وتجسد معنى من معاني التكافل بين المسلمين، إن الزكاة فيها تزكية للمال وتنمية له، وبركة فيه، وليست إنقاصاً منه أو تقليلاً له، ‘إن تلك المعاني السامية تغرس في الأسرة من خلال الممارسة الذاتية، ويتعرف الأبناء على أهمية ومعنى الزكاة من خلال ما تقوم به الأسرة.

والصيام ليس مجرد الإمساك عن شهوة البطن وشهوة الفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس خلال شهر رمضان وإنما هو تزكية للنفس، وامتثال لأمر الله عز وجل، وترك المعاصي ، وتقوية النفس في التغلب على شهواتها نزواتها، بجانب ما للصوم من آثار صحية متعددة، والصوم كركن من أركان الإسلام يدخل في عداد العلاقة بين الإنسان وربه، فلا يمكن فرضه على الناس بقانون، ولكن الأسرة بمالها من سلطة الضبط الاجتماعي والتأثير النفسي والمراقبة على أفرادها هي القادرة على وضع أفرادها في السياق الإيماني والاجتماعي الذي يؤدون من خلاله فريضة الصوم، إن القانون الوضعي يمكن أن يضع عقوبة لمن يجاهرون بالفطر في رمضان، وكذلك يمكن أن يتقيد بعض الأنشطة كإغلاق المطاعم... الخ، ولكنه – أي القانون – يقف عاجزاً تماماً عندما يدخل الأمر في علاقة الإنسان مع الله الذي يعلم السر وأخفى، هنا يظهر دور الأسرة في التنشئة والممارسة لأداء فريضة الصوم ، وكذلك صوم التطوع باعتباره تطبيقاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بما يعنيه ذلك من تدعيم لعوامل الضبط النفسي، التي تنعكس بإيجاد رقابة للإنسان على نفسه (كل نفس بما كسبت رهينة) وهذه الاتجاهات النفسية تتكون في الأسرة العازمة على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية، وليست تلك الأسر التي تنظر إلى استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية على أنه قرار سياسي لا دخل لهم في تنفيذه إلا بما يصل إليهم من أحكام قانونية.

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو فريضة تؤدي مرة في عمر الفرد ولا مانع من تأديتها أكثر من مرة والحج فريضة على كل مسلم بالغ عاقل وله استطاعة في المال والبدن، وأداء فريضة الحج إنما يأتي في إطار علاقة الإنسان بربه امتثالاً لأوامره واجتناب نواهيه، وكل ما يمكن للدولة أن تفعله في هذا الشأن هي تيسير سبل الحج فهذا أمر غير وارد، ويأتي دور الأسرة في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الإعداد لهذه الفريضة، والحث عليها وجعلها أولوية في حياة أفرادها، والتذكير بأحكامها وشعائرها وتدعيم المستعد للحج في حياة أفرادها، والتذكير بأحكامها وشعائرها وتعليم المستعد للحج بآدابها وممارساتها لكي عود كيوم ولدته أمه.

هذه نظرة عامة على العقيدة والعبادات التي تمثل أركان الإسلام، فإذا تساءلنا عن أهمية موقع الأسرة في تطبيق ذلك، سنجد أن هذه الأهمية تفوق أهمية أي مؤثر آخر. إن المؤسسات الرسمية والأهلية يمكن أن توجه وترشد، والقانون الوضعي قد ينص ويفرض ، ولكن الأفراد قد يستجيبون أو لا يستجيبون للتوجيه والإرشاد، وقد تنالهم عقوبة القانون أو يفلتون منها، أما الأسرة – كتنظيم اجتماعي – فإنها تأتي بمثابة المؤثر الفاعل الذي بقدرته غرس متضمنات الشريعة والانتقال بها إلى حيز الممارسة وترسيخها في نفوس الأبناء لتكون جزءاً أصيلاً في فكرهم وسلوكهم، وتنتقل عبر الأجيال، إن ممارسة الأسرة للعقيدة والعبادات هي بمثابة تجفيف منبع المعاصي وتطهيره، وهي الأساس الذي لا

غنى عنه لأي مجتمع يبتغي تطبيق الشريعة الإسلامية، إن الصغير الذي ينشأ في أسرة تردد عقيدة التوحيد، وتؤدي الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت فإنه في الغالب سوف ينشأ ويشب على تلك الممارسات، أو على الأقل سيكون أكثر استجابة لها وانقياداً عند مرحلة معينة من مراحل النمو، إن المساجد ، ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات والتنظيمات في الدول الإسلامية تمارس الكثير من جهود التبصير والتوعية إلى الله، لكن النتيجة من ذلك تتوقف على استجابة الأفراد لها، وهؤلاء الأفراد هم أولاً وأخيراً أعضاء في أسرة، ويختلفون من حيث موقعهم في بناء القوة – وبالتالي التأثير – داخل الأسرة وبالتالي يتحدد مدى (تطبيق) و(ممارسة) العقيدة وأركان الإسلام، لا مجال هنا لقانون يفرض من الدولة، وإنما دول الدولة يتمثل بصفة أساسية في التوعية والتيسير، وتبقى الأسرة هي المجال الأساس للاستجابة السلوكية أي التطبيق والممارسة.

إن استكمال أحكام الشريعة الإسلامية يجب أن يكون شعار كل أسرة مسلمة في كل زمان ومكان بغض النظر عن التوجه العام للدولة، وأساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هو الفرد المسلم، والأسرة المسلمة قبل أن يكون المجتمع المسلم.

إن استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية ليس قراراً سياسياً وإنما منهج حياة للإنسان المسلم، وما ذلك القرار الذي اتخذه أمير البلاد إلا توجيه المسلم لتطبيق الإسلام داخل أسرته ومجتمعه في عملية تناسق تؤدي إلى الرقي والتقدم والنمو الحضاري، وإلى المحافظة على هوية الأمة المسلمة.

وسواء أكان توجيه الدولة إلى استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية أو لم يكن فإن مسئولية الاسرة كبيرة في مجال تطبيق الشريعة وما ذلك التوجه من الدولة إلا استكمال لمقومات المجتمع الكويتي، وليكون هناك تناسق وتناغم بين ما يمارسه الفرد في بيته وما يلتزم به في مجتمعه لتكون هوية الأمة واضحة، ومسارها الإسلامي علامة خير تقدمه للبشرية كنموذج بشري متميز.

المبحث الرابع: دور الأسرة في تطبيق الحقوق

والواجبات المتبادلة بين أفرادها

لقد حرص الإسلام على تمتين الروابط بين أفراد الأسرة، ومن أهم وسائله في ذلك تلك الضوابط التي تتعلق بالحقوق والواجبات تجاه أفراد الأسرة بعضهم بعض، ومن المؤكد أن الالتزام بهذه الحقوق والواجبات والتنشئة عليها – تصبح معه الأسرة مجالاً حيوياً ووسيلة فعالة لتطبيق جانب رئيسي من جوانب الشريعة الإسلامية، وتتمثل حقوق وواجبات أفراد الأسرة في خمسة مستويات:

الحقوق والواجبات المشتركة للزوج والزوجة.

حقوق الزوج على الزوجة.

حقوق الزوجة على الزوج.

حقوق الأبناء على الوالدين.

حقوق الوالدين على الأبناء.

وفيما يلي توضيح هذه الحقوق والواجبات حسبما ورد في الشريعة:

<u>أ- الحقوق والواجبات المشتركة للزوج والزوجة:</u>

فما إن يتم الزواج حتى يصبح لكلا الزوجين حقوق مشتركة تتمثل في إحسان العشرة (العشرة بالمعروف) والاستمتاع الجسدي، والإرث. لقد أمر الله بإحسان العشرة بين الزوجين وحث كلا منهما على تصفية النفس وتنقيتها وتطهير جو الأسرة من العوارض التي تعكر صفو الحياة الأسرية أو تؤدي إلى سوء العشرة أو الإساءة فيها أو إليها، وإحسان العشرة يكون بالبعد عما ينفّر، والسعي إلى ما يرضي والتعاون على جلب الخير ودفع الشر، والإخلاص في أداء الواجب مع العطف والتسامح والتلطف في الحديث واحترام الرأي وإشاعة الأنس والتفاهم والصراحة والتراحم وما إلى ذلك مما تقتضية الحياة الزوجية من جو صحي خال من أسباب النزاع والشقاق وعوامل الضيق والكآبة. من جهة أخرى يحل للزوجين الاستمتاع الجنسي ويكون على كل منهما أن يقوم بواجب الإعفاف للآخر، وفي ذلك إشباع لحاجة فطرية أو غريزية، ومن المعروف أن الدوافع الفسيولوجية ذات الأهمية في الصحة النفسية والحياة الإجتماعية، وقد بالغ (فرويد) في تقدير هذه الأهمية وفسر كثيراً من الأمراض النفسية والعقلية باضطراب الوظيفة الجنسية، لكن الإسلام جعل الزواج مشروعاً للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة بما يلبي

حاجة فطرية من جهة ويحفظ بقاء الأنواع والأنساب دون أن تشيع الفاحشة في المجتمع من جهة ثانية.

الحق الثالث من الحقوق المشتركة بين الزوجين يتمثل في حق الإرث حيث يستحق كل منهما في تركة صاحبه نصيباً معلوماً حدده القرآن، وبهذا الاستحقاق يشعر كل من الزوج والزوجة بنوع من الأمن الاقتصادي والاجتماعي، ولا يخاف أي منهما من ضياع حقوقه أو ضياع ممتلكات شريكه المتوفي، لقد وضع الإسلام تنظيماً للميراث يجعل للزوجة نصيباً في تركة زوجها، وللزوج نصيباً في تركة زوجته، كما يحافظ على حقوق الأبناء، وأي انتهاك لهذا التنظيم يصبح تحدياً لشريعة الله وتجاوزاً لحدوده٢٨.

ب- حقوق الزوج على الزوجة:

يضع الإسلام مجموعة من المعايير والضوابط التي تمثل حقوقاً للأزواج وواجبات على الزوجات. وتدور أهم هذه الحقوق حول الطاعة، التأديب، قرار الزوجة في بيت الزوجية، الخدمة في البيت، فالمرأة إذا نشزت وعصت أمر زوجها فها علها حق الطاعة وله أن يلزمها بأدائه متخذاً في ذلك كل الوسائل المشروعة. وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان في نفر من المهاجرين والأنصار فقال... "ابعدوا ربكم وأكرموا أخاكم، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر

إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل اصفر كان ينبغي لها أن تفعل"٢٩ وعن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "حق الزوج على زوجته أن تطيع أمره، وأن تبر قسمه، ولا تهجر فر شه، ولا تخرج إلا بإذنه ولا تدخل عليه من يكره"٣٠، وقد ركز الفقهاء تركيزاً واضحاً على أهمية أن تلبي الزوجة رغبة زوجها فيها (إرضاء رغبة الزوج) باعتبار أن ذلك من العناصر المكونة لطاعته، فإذا كانت قادرة على ذلك مع انتفاء الموانع الشرعية ولكنها تتمنع، يكون ذلك نشوزاً تستحق عليه التأديب، ويباح للزوج حق تأديب زوجته، وذلك بدرجات متفاوتة تبدأ بالوعظ والإرشاد مروراً بالإعراض والهجر وانتهاء بالضرب غير المبرح، الذي يردع ولا يوجع، وفي كل الأحوال يجب أن يكون حق التأديب بما يليق بمكانة الزوجين ولا يتعارض مع الكرامة الإنسانية وقبل ذلك يجب أن يكون في حدود ما شرع الله.

ولما كانت الزوجة هي القائمة عادة على الأمور الداخلية بالمنزل، والمحافظة على ما فيه، ولما كان الزوج عادة هو الذي يتولى العمل خارج المنزل، فإن من حقه أن تقر الزوجة في بيت الزوجية للعناية بشئون الزوج والأبناء، ولقد أثير جدل فقهي واسع النطاق حول عمل المرأة بما لا يتسع هنا المجال لذكره، ولكننا بوجه عام نجمل القول في أن المرأة يمكنها العمل خارج المنزل أو الخروج طالما كان في ذلك إفادة مشروعة وضرورة، وبرضاء الزوج، وبما لا يتعارض مع حقوق الأسرة وواجبات المرأة والتزامها بحدود الله. أما

بخصوص قيام الوجة بالأعمال المنزلية، فإن هناك بعض الآراء الفقهية التي ترى أن ذلك ليس من حقوق الزوج على الزوجة، بينما توجد آراء أخرى ترى أن ذلك من حقه سواء بشروط أو من بدون شروط. لكن الدين الإسلامي الحنيف، الذي يصلح لكل زمان ومكان نجد فيه الحسم الواضح لهذه المسألة، فمن الأحكام الإسلامية "لا ضرر ولا ضرار"، وعندما لا تقوم الزوجة بأعباء المنزل من نظافة وتنظيم وإعداد للطعام..الخ، يمكن أن يترتب على ذلك مشقة ومكابدة للأسرة ككل، وحتى في حالة الاستعانة بالخدم، فإن وجودهم قد يترتب عليه مشاكل وأضرار لا حصر لها سواء على الأسرة أو على المجتمع، وكلنا يعلم مدى وخطورة المشاكل والآثار المترتبة على الاعتماد على الخدم الأجانب في البيت الخليجي. صحيح أنه لم يرد نص من القرآن أو السنة يلزم المرأة بحق الزوج في أن تقوم بالعمل المنزلي، إلا أنه في الوقت نفسه لا يوجد نص يمنع ذلك، ولقد جرى العرف في كل العصور منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أن تقوم المرأة بخدمة بيتها، ولم يكن ذلك محل نزاع أو خلاف بما يستدعي نصاً فيه، فقد كان النساء يقمن بخدمة أزواجهن دون أن يشعرن بغضاضة في ذلك أو يجن أنهن مرغمات عليه، بل إن فاطمة رضي الله عنها، كانت تقوم بخدمة البيت والقيام بشئونه لدرجة أن أصاب الألم يدها من طول إدارة الرحا والإمساك بمقبضها، ولم تطلب من زوجها علي بن ابي طالب رضي الله عنه أن يأتي لها بخادم يريحها من عناء هذه الأعمال ويقوم عنها بالخدمة، لكنها ذهبت إلى أبيها (صلى الله عليه وسلم)

ليحقق لها ذلك، ومعروف أنه ليس في نساء العالمين من يصل إلى مقام أهل البيت شرفاً وفضلاً، ولهذا قالت طائفة من فقهاء السلف إن على الزوجة خدمة البيت والأولاد.٣١

جـ) حقوق الزوجة على الزوج:

وهي الواجبات التي على الزوج أن يؤديها للزوجة ولعل من أهم هذه الحقوق "حسن العشرة"، والمهر الذي هو حق للزوجة وحدها وليس لأبيها ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئاً منه إلا برضاها واختيارها. قال تعالى: "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً" (النساء: ٤٠) فإذا أعكت الزوجة شيئاً من مالها حياءً أو خوفاً أو خديعة فلا يحل أخذه، قال تعالى "وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً، وكيف تخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظا" (النساء: ٢٠- ٢١) وليس في الإسلام حد أعلى وحد أدنى للمهر. أن تقرير حق المهر للمرأة يكون له آثار اجتماعية ونفسية إيجابية إذا كان في استطاعة الزوج، وإذا كان الزوج قد نفذ هذا الحق عن سماحة واقتناع، وللمرأة أيضاً حق المتعة، وهي هبة أو عطية يعطيها الزوج للزوجة إذا طلقها، ويكون في ذلك تطييب لخاطرها وتخفيف لألم الفراق، قال تعالى: "ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على

المحسنين" (البقرة: ٢٣٦)، وللزوجة أيضاً حق النفقة وهي تشمل السكن والطعام والملبس والعلاج وكل ما يلزم لاستمرار الحياة. قال تعالى: "وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها" (البقرة: ٢٣٣) وقال تعالى: "أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن، وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن" (الطلاق: ٦) وإذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من امرأة، فإن من حقهن عليه التسوية بينهن في كل ما يستطيعه ويدخل تحت قدرته من الحقوق مثل الإنفاق وإحسان المعاملة ولطف العشرة والمبيت....الخ.

<u>د) حقوق الأبناء على الوالدين:</u>

إن الأبناء ثمرة تكوين الأسرة، ودعم في بنائها وامتداد لوجودها، والإسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية "الفراخ" الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، وبما كان ذلك لأن وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ودوره في الأرض أضخم دور، وبالتالي لابد من طول فترة إعداده وتهيئته وتدريبه للمستقبل. ولا شكل أن حاجة الطفل لملازمة أبويه أشد من حاجة أي كائن حي آخر لأبويه، وتبدأ مسئولية الأبوين عن الأبناء منذ أن يكونوا أجنة في بطون أمهاتهم وتستمر

حتى يستقل كل منهم ويصبح قادراً على تكوين أسرة، وحتى بعد ذلك يأمرنا الإسلام بصلة الرحم واستمرار التواد بين الآباء والأبناء. ولعل أهم حقوق الأبناء تبدأ أولاً بأن يحسن اختيار الأبوين بعضهما لبعض، بحيث يختار الرجل المرأة الصالحة لتكون أماً لأبنائه، وتختار المرأة الرجل الصالح ليكون أباً لأبنائه. وقد سبقت الإشارة إلى معايير الإسلام في الاختيار الزواجي من خلال الخطبة. وفي الحقيقة لا تنفصل الحقوق المشتركة للزوجين أو حقوق أي منهما تجاه الآخر- عن حقوق الأبناء، لأن أداء كل طرف لواجباته التي تمثل حقوقاً للآخر إنما يترتب عليه حياة أسرية سعيدة، تشكل بيئة نفسية واجتماعية صحية تنعكس على الطفل منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه، إلى أن يصبح رجلاً وشيخاً فيما بعد، في الوقت نفسه هناك حقوق خاصة بالأبناء فقط: فمن حق الطفل مثلاً حسن اختيار الاسم وقد ورد العديد من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى ذلك منها قوله (صلى الله عليه وسلم): "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم"٣٢، وهناك ضوابط حددها الفقهاء استلهاماً من السنة الشريفة بشأن اختيار أسماء الأطفال وأهم هذه الضوابط أن تكون منفرة وألا توحي بالشر، وعموماً فإن خير الأسماء ما عبّد وحمّد، حسبما ورد بهذا المعنى في السنة الشريفة، كما أن الرضاعة حق للطفل على الأم، قال تعالى: "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" (البقرة: ٢٣٢)، ويرى الحنفية أن الأم مطالبة بهذا الحق ديانة لا قضاء٣٣ وعلى الرغم من وجود اجتهادات فقهية حول هذه المسألة، إلا

أنه على ضوء هذه الآية الكريمة وعلى ضوء البحوث النفسية التي تجمع على ضرورة الإشباع العاطفي للطفي جراء رضاعته من ثدي الأم، كما أثبتت البحوث الطبية ما لذلك من آثار صحية. ويحدث في بعض الأحيان ألا تتمكن الأم من إرضاع الطفل لسبب عضوي أو اجتماعي، وهنا يتعين على الوالدين إتاحة بديل لحفظ حياة الطفل. فالطفل له حق الحياة، وقد حرم القرآن تحريماً قاطعاً قتل الأبناء كما حرم قتل النفس عموماً "ولا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئاً كبيرا" (الإسراء: ٣١) ولا يشترط أن يكون القتل بالمعنى المتعارف عليه كما كان يفعل العرب في الجاهلية، فالإجهاض وعدم العناية بالصحة البدنية للطفل بما يعرض حياته للخطر – كلها يمكن أن نتدرج ضمن القتل، وللطفل أيضاً حق الحضانة بمعنى القيام بتربية الصغير ورعاية شئونه وتدبير طعامه وملبسه ونومه وتنظيفه، والرأي الراجح عند العلماء أن الحضانة تتعلق بها ثلاثة حقوق: حق المحضون وحق الحاضن، وحق الأب أو من يقوم مقامه، وهذه الحقوق إذا اجتمعت وأمكن التوفيق بينها ثبتت كلها، وإن تعارضت كان حق المحضون مقدماً على غيره لأن مناط الحضانة هو حفظ الصغير ونفعه(٣٤) . هناك أيضاً حق النفقة، وهو من ضمن الحقوق الواجبة في الفقه الإسلامي ومن حق الأبناء على الآباء حق العدل، لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"(٣٥) فالعدل بين الابناء في العطية والبسمة والكلمة يقيهم من أن تصطبغ مشاعرهم بالحقد وتتحول عاطفة الأخوة

بينهم إلى ميول عدوانية تهتك علاقة مشاعرهم بالحقد وتتحول عاطفة الأخوة بينهم إلى ميول عدوانية تهتك علاقة القرابة وتقضي على وشائج الرحم الرحيمة، ولم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر بعقاب الأبن العاق بحرمانه أو إنقاص حقه في الحقوق عن إخوانه، بل إن أمره بالعدل كان مطلقاً يشمل كل الأبناء دون تمييز بين صالح وطالح ومطيع وعاق ، وقد تبين في عرض القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام أن الذي أشعل حقد أخوته وأدى إلى تآمرهم عليه ، ما بدا لهم من إيثار الأب له،واختصاصه بألوان من القرب والكرم " إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة ، إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين" (يوسف:٨-٩) وفي هذه القصة عبرة لمن يعتبر، فهل يلتزم الآباء بما قررته الشريعة الإسلامية الغراء ويعدلون بين أبنائهم؟، إن اختصاص الآباء لبعض الابناء بشيء من الاستحسان والرعاية ينشئ الحقد في قلوب الأبناء، ويفسد الصلة بينهم ولا شك أن رباطة الأبوة والأمومة المتساوية لا تخول أن يمتاز بعض الأبناء على بعض، فلا يجوز إثارة الخلل والعوج بإظهار البر واللطف لبعضهم دون البعض، وقد أمر الإسلام بالعدل بينهم في المنح والإعطاء وفي الإحسان والرحمة، ومن حقوق الأبناء أيضاً عدم الدعاء عليهم بالشر، إن دعا الآباء على الأبناء بالشر قد يستجاب وتقع للأبناء الأحداث التعيسة، ولن يؤدي هذا الدعاء إلى استقامة أمورهم، إنه دعا شر، ولن يأتي الشر بالخير، كما أنه

يوحى إلـي الأبنـاء أن قلـوب آبـائهم قـدت مـن صـخر وغلفت بغطـاء كثيـف مـن القسوة، وأن هؤلاء الآباء ليسوا على الخلق الذي يجب أن يكونوا عليه مـع أبنـائهم من الرحمـة والشفقة والعطف والحنـان، ويتطـور هذا المعنـى فـي نفوسـهم وتتـداعى الأفكار العدوانية. ثم تتسع الفجوة بين الآباء والأبنـاء ، وتكون النتيجـة أن ينفصـل هؤلاء عن هؤلاء فلا يكون الآباء آباء ولا الأبنـاء أبنـاء (٣٧). ومعنـى أن لا يكـون الأبناء أبناءً أنهم لا يكونوا بارين بوالديهم، أو ببعضهم البعض، ولعل مـا نـلاحظـه في الحياة الواقعية وما تنقله لنا أخبار الصـحف عن الخلافات بين الأقارب، إنمـا يفصـح عن اختلال من نـوع ما فـي التربية من حيث افتقادها ما يجـب أن تكـون عليه العلاقة بين ذوى الأرحام ، فالتربية السليمة – وفق أخـلاق الإسلام – ينـتج عنها (بالتأكيد) فضائل البر والإحسان بالاقارب وصلة الأرحام، ويروى فـي الأثـر أن أخوين كان أكبرهما متزوجاً ويعول أبناءه بينما اصغرهما لا يزال يبحث عن زوجـة صـالحة. وقـد تـرك لهمـا أبوهمـا قطعـة أرض كانـا يزرعانهـا قمحـاً وبعـد الحصاد اقتسما محصول القمح بالسوية، ولكن الأكبر قال لزوجته إن أخـي يعيش وحده ولـيس لـه زوجـة ولا أولاد، ولـيس لـه مـن يساعده، وقد فكرت فـي أن أحمـل عشـر حـزم مـن كـومتي سـراً فأضـعها علـى كومتـه معونـة لـه، وسـعدت الزوجـة الصـالحة بفكرة زوجها الطيب الحنـون وشجعته علـى تنفيذ الفكرة. وتصـادف أن فكر الأخ الأصـغر فـي نفس الليلـة أن يحمل عشـر حـزم من كومتـه سـراً ليضـعها على كومة أخيه الذي يعول زوجة وأولاداً. وفي الصباح وجد كل منهما كومته كما

هي لم تنقص، وفي الليلة التالية قام كل منهما بما قام به البارحة، وتعجب في اليوم التالي كما تعجب بالأمس ، واستمر كل منهما بضع ليال يؤدي ما يراه واجب الأخ نحو أخيه إلى أن تصادف لقاؤهما في جوف الليل في منتصف الطريق بين الكومتين وكل منهما يحمل كومته ليضع على كومة أخيه، وألقى كل منهما حمله وكان بينهما عناق طويل (٣٨). إن هذا الحب بين الأخوين هو ناتج التربية الصالحة، كما أن موقف زوج الأخ الأكبر عندما باركت فكرة زوجها في أن يساعد أخاه إنما هو نتيجة حسن اختيار الزوجة.

(هـ) حقوق الوالدين على الأبناء:

إنها واجبات على الأبناء تجاه والديهم، سواء كان هؤلاء الأبناء يعيشون مع الوالدين أو يعيشون حياة مستقلة. وتتمثل هذه الحقوق في حق الطاعة، حق النفقة، حق الإرث، الدعاء لهما، إكرام صديقهما، إنفاذ عهدهما، صلة رحمها، لقد فرض الإسلام على الأبناء أن يطيعوا والديهم في كل ما هو داخل دائرة إرضاء الله عز وجل، وعلى الرغم من ضرورة عدم طاعة الوالدين فيما يعصي الله به، إلا أن ذلك لا يعني مقاطعتهما،بل لابد من مصاحبتهما بالمعروف باعتبارها فرضاً لازماً في شريعة الله. قال تعالى: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى" (لقمان:١٥)، وهكذا يصل الأمر بالإسلام العظيم إلى أنه حتى إذا كان الوالدان

مشركين بالله، لابد من الاحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف دون أن يعني ذلك طاعتهما فيما يغضب الله، أو الشرك به، والإحسان إلى الوالدين في هذه الحالة يكون بالبر بهما،والنصح والإرشاد لهما، ومن إكرام الوالدين النفقة عليهما عند الحاجة وتجنبيهما المشقة الكبرى، والدعاء لهما اعترافاً بفضلهما، واللين لهما في القول،وعدم الإساءة إليهما بأية صورة من الصور مهما كانت ضئيلة بالقول أو بالفعل: "وقضى ربك ألا تبعدوا إلا أياه وبالوالدين إحساناً،إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً" (الإسراء:٢٣،٢٤)، ويحلل أحد فقهاء الشريعة الإسلامية والقانون مسألة الدعاء بالرحمة تحليلاً يتلاقى مع المنظور النفسي والاجتماعي قائلاً. " إن الرحمة تحول النفس إلى خلق طيب صاف صفاء الفطرة وتجعل مشاعر القلب مرتبطة برب الخلق فلا تميل إلى غيره ولا تطمع في سواه.. إن الرحمة هي الأمل الذي يراود كل ضعيف .. ثم إنها هي اللغة التي كان يتخاطب بها الآباء مع الأبناء وهم صغار، ولولا هذه الرحمة التي أودعها الله في قلوب الآباء، لما نال الأبناء ما نالوا حتى أصبحوا بشراً أسوياء، فالأبناء وهم صغار كانوا في أمس الحاجة للرحمة نظراً لصغرهم وضعفهم،والآباء وهم كبار أصبحوا في أمس الحاجة إلى الرحمة (٣٩) نظراً لكبرهم وعجزهم.. والنص على صيغة الدعاء بالرحمة تنبيه للأبناء أن يلتزموا سبيل الرحمة بتعويد قدراتهم الفكرية واللسانية على ذلك ولاسيما

عندما يبلغ الآباء الكبر، ويضيف النص الممارسة السلوكية على هذه القدرات في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) ومن حقوق الوالدين على الابناء إنفاذ وعدهما بمعنى الوفاء بالعهود والوعود والالتزامات التي كان الوالدان قد قطعاها على نفسيهما في حياتهما، وأن يصلا رحمها بما يبقى على سلسلة القرابة والود قوية متماسكة فلا تضعف أو تتلاشى أو يشوبها العداء بعد موت الوالدين، ويقرر الإسلام أيضاً أن من حقوق الوالدين على الأبناء إكرام صديقهما. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه". (٤٠).

المبحث الخامس: دور الأسرة في تطبيق

الأخلاق الإسلامية في المعاملات

كان التمسك بالأخلاق الإسلامية مصدر القوة للمجتمع الأول الذي تشكل بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت الخطوط الأساسية للتناقض لا تكمن في بنية هذا المجتمع، وإنما كانت تمتد صوب الخارج، أي بينه وبين المجتمعات الجاهلية من حوله، فمثلاً لم يكن هناك صراع بين الرجل والمرأة، أو بين الغني والفقير في المجتمع الإسلامي، وإنما كان هناك صراع بين المسلم وغير المسلم، وكان هذا يدفع المجتمع الإسلامي إلى مزيد من التوحد أفقياً وعمودياً. في الحالة الأولى كان يزداد تماسكاً ووضوحاً بين أفراده كافة، وفي الحالة الثانية كان كل فرد من هؤلاء يسعى لمزيد من التحقيق بالعقيدة الجديدة لكي يكون أكثر قدرة على التعبير عن مطالبها. لقد تمكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تشكيل المجتمع القدوة، المجتمع النموذجي الذي بلغ مرتقى صعباً لم يكن بقدور مجتمع في تاريخ البشرية أن يبلغه، الأمر الذي يؤكد نجاح الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مهمته من جهة، وعلى قدرة الإسلام من جهة أخرى على تغيير الإنسان من جديد، وكانت الخيوط المتفرقة التي تنسج رقعة هذا

المجتمع على قدر من المتانة والإتقان بحيث كان بمقدور المجتمع المتمخض عن الحركة الإسلامية أن يصنع المستحيلات وأن يضرب مثلاً عملياً على قدرة الجماعة البشرية المؤمنة أن تمارس بجدارةٍ مهمة استخلافها العمراني في العالم. على كافة المستويات وبتوازٍ ملحوظ كان المجتمع الإسلامي يتحرك إلى فوق (إلى الأفضل) ابتداءً من أولويات التحقق بالمنظور العقيدي للعالم وانتهاءً بالتنفيذ لمطالب العبادة بمفهومها الشامل مروراً بمسألة القيم الخلقية والمعاملات والآداب والسلوك وكذلك بقدرة هذا المجتمع على العطاء الدائم والاستجابة المتواصلة للتحديات بحيث يحمي ذاته من التراخي – الذي هو نقيض التوتر – والقدرة المستمرة على الفعل الحضاري٤١.

لا شكل أن السر في هذه القوة الهائلة التي امتلكها المجتمع الإسلامي إنما ترجع إلى الإيمان الحقيقي والتمسك الصادق بالدين الإسلامي الحنيف باعتباره عقيدة ومنهج حياة متكامل، وكذلك باعتباره دين الفطرة، إنه يتجاوب مع الفطرة البشرية، فالفرد يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها، وهو يجد الأمن والطمأنينة في حمايته ورعايته. ويبدو ذلك واضحاً في سلوك الإنسان عبر التاريخ وفي مختلف المجتمعات الإنسانية تقريباً وإن كان هناك اختلاف في تصور الإنسان لطبيعة الإله والطريقة التي يسلكها في عبادته وذلك وفقاً لمستوى تفكير الإنسان ودرجة

تطوره الثقافي، وما هذا الاختلاف إلا مجرد اختلاف في طريقة التعبير عن الدافع الفطري الموجود في أعماق النفس البشرية منذ الأذل. غير أن امتزاج الروح بالجسد وانشغل الإنسان بمطالب جسده وبمطالبه المختلفة التي تستلزمها الحياة الدنيا جعل هذا الاستعداد الفطري عرضة لأن تطمره الغفلة ويغمره النسيان ويطويه اللاشعور في أعماقه، ويصبح الإنسان في حاجة إلى ما يوقظ فيه دافع التدين وينفض عنه غبار النسيان ويبعثه من أعماق اللاشعور ليظهر واضحاً جلياً في الإدراك والشعور، يتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون وتأمله فيما يحتويه من مخلوقات ومعجزات٤٢.

ولعله من العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أفكار تهدد حياته وتسد أمامه سبل النجاة فلا يجد منها مهرباً إلى الالتجاء إلى الله، فيتجه إله سبحانه – بدافع فطري طالباً منه النجدة.. الإنسان في مسلكه هذا إنما يشعر بحافز إلى الاستنجاد بقوة أسمى وأقوى وأعظم منه، وإذا كان الإنسان بطبيعته لديه استعداد أو ميل إلى التدين على هذا النحو، فإن الإسلام دين الفطرة. قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (الروم: ٣٠) وفي الحديث النبوي الشريف ما يؤكد هذا المعنى، فعن أبي هريرة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة جمعاء، وهل

تحسون فيها من جدعاء؟ ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: فطرة الله التي فطر الناس عليها٤٣" والإنسان خلقه الله مزوداً بمجموعة من القوى والغرائز والدوافع والميول الفطرية، كما أنه يكتسب من البيئة العديد من السمات بحيث تكون شخصيته ناتجاً للتفاعل بين كل من الوراثة والبيئة، وتقوم التربية والتنشئة بإضفاء الطابع الإنساني على الشخصية، ويبدأ دور التنشئة والتربية منذ ما قبل الولادة عن طريق العناية الصحية والنفسية والاجتماعية بالأم، وما إن يخرج المولود إلى الحياة حتى تبدأ الأسرة – خاصة الأم – في تعهده بالعناية والرعاية وإشباع حاجاته الفسيولوجية، ومع نمو الطفل يكتسب الثقافة، وتدخل مؤسسات أخرى في التنشئة بجانب الأسرة، ولكن يظل دور الأسرة بمثابة السياق الاجتماعي الأول لتشكيل الشخصية، ولعل من أهم سمات التنشئة الإسلامية – التي هي من واجبات الأسرة المسلمة، ترسيخ المبادئ الخلقية في نفوس النشء، فالأخلاق هي قوام التربية في الإسلام، والدين والأخلاق حقيقتان متصلتان حسب المفهوم الإسلامي ولا يمكن الفصل بينهما، وقد بيّن الإسلام المسائل الخلقية من حيث أصولها وبواعثها وأحكامها والغاية منها. والتربية الإسلامية تحث على ترسيخ المبادئ الأخلاقية عن طريق التلقين والممارسة وفق ما رسمه الإسلام للناس تجمع بين الطابع الشخصي والطابع الاجتماعي، إنها تستهدف إصلاح شأن الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، والأسرة المسلمة هي تلك التي تقوم على هذه الأخلاق وتربي أبناءها على الالتزام بها، إنها – أي الأسرة– حينئذ تكون مجالاً

ووسيلة لتطبيق الشريعة الإسلامية بوحي من ضمير أفرادها، وليس بموجب قوة أو إلزام إلا من الله عز وجل، وفيما يلي إشارة مركزة عن الأخلاق الإسلامية التي يكون التزام الأسرة بها هو التطبيق العملي لجانب أساسي في الشريعة الإسلامية:-

* الصدق:

إنه ببساطة عدم الكذب في القول والعمل، والصدق خلق إسلامي أصيل يعود على صاحبه بخير الجزاء، فالله تعالى يجزي الصادقين بصدقهم، ويثني القرآن الكريم على هذا الخلق الذي يجعل الإنسان مقبولاً عند الله عز وجل: "واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا. وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا" (مريم: ٥٤، ٥٥)، ولقد حقر الإسلام الكذابين ووعده بأشد العذاب، وربط الكذب بصفات غير محمودة كالجبن والبخل، لأن الكذب – الذي هو عكس الصدق– رذيلة تدل على تغلغل الفساد في النفس، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الكذب[٤٤]" ... ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب[٤٥]"، ويحذرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الكذب "يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم! فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم[٤٦]"، كما قال

الرسول (صلى الله عليه وسلم): "كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً، هو لك مصدق وأنت له كاذب٤٧". ولسنا بحاجة إلى تأكيد ما يؤدي إليه الكذب في العلاقة بين الزوجين من خلافات ومشاحنات في الحياة الزوجية وربما وصل الأمر إلى الطلاق، وحتى في حالات عدم تأثر العلاقة بين الزوجين، فإن الكذب ينتقل إلى الأطفال على سبيل التقليد، كما أن أسلوب التنشئة في التعامل مع الطفل يؤدي إلى نفس النتيجة (الكذب) فقد بينت الدراسات النفسية أن أسباب الكذب لدى الأطفال منها ما يتصل بالبيئة الأسرية بشكل مباشر مثل: تقليد الأبوين، عدم ثقة الوالدين في الطفل وعدم تصديقه، صورة الذات، بمعنى: القول مراراً للطف بأنه كاذب حتى يصبح مقتنعاً بذلك، الدفاع عن النفس حيث يلجأ الطفل إلى الكذب للتهرب من النتائج غير السارة كعدم استحسان الأبوين لسلوكه أو عقابهما له٤٨ ويوصي الإسلام بغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها. عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها (صلى الله عليه وسلم): ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: أما إ،ك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة٤٩"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من قال لصبي تعال، هاك ثم لم يعطه فيه كذبة٥٠"، وفي السنة الشريفة ما يحرم الكذب حتى ولو كان على سبيل المزاح أو المدح والثناء، كما بينت أن الكذب يؤدي إلى

الفجور وسواد القلب، وإنه وبال على الفرد والمجتمع، وأشد وبالاً على الأسرة والتفاعل بين أفرادها لأنه يؤدي إلى انعدام الثقة، والأسرة الصالحة هي التي يتمسك أفرادها بالصدق في أقوالهم وأفعالهم، وهي التي تربي أبناءها على هذه الفضيلة.

*** الأمانة:**

وهي خلق إسلامي ذو دلالة واسعة، وتقضي بأن يشعر كل أفراد الأسرة بتبعتهم في كل أمر يوكل إليهم، ويدركون إدراكاً جازماً بأنهم مسئولون عنه أمام ربهم. يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته١٥، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته÷ المرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته". وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته الأولى يلقب بالأمين. والأمانة كخلق من أخلاق الأسرة المسلمة تعني أن يحافظ أفرادها على حقوق الله، وعلى حقوق بعضهم البعض، فلا يفرط الأب في حقوق زوجته وأبنائه، ولا تفرط الأم في حقوق زوجها وأبنائها، ولا يفرط الأبناء في حقوق الوالدين، ولا يفرط الأبناء في حقوق بعضهم تجاه البعض وعلى مستوى المجتمع، فإن الأمانة تعني التزام أفراد الأسرة ألأمانه مع الآخرين: في حديثهم ووظيفتهم وواجباتهم وودائعهم وأسرارهم. والمحافظة على قدسية وسرية العلاقات الزوجية

أمانة. فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل وأسرته يجب أن يطوى في أستار مسبله، فلا يطلع عليها أحد مها قرب٥٢، إن الثرثرة فيما يخص ما يقع بين المرء وزوجه نوع من السفاهة والوقاحة. ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن من أعظم الأمان عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشرها سرها٥٣".

* *تعلم العلم:*

فالتربية الإسلامية تعتبر طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه، وللدلالة على الأهمية التي أولاها الله سبحانه وتعالى للعلم والتعليم، نجد أن كلمة "العلم" ومشتقاتها على اختلاف مدلولاتها قد وردت في كتابه العزيز نحو أربعمائة مرة، وكلمة "الكتابة" ومشتقاتها نحو ثلاثمائة مرة، وكلمة "القراءة" ومشتقاتها نحو خمسين مرة، كما أن كلمات الفكر والفقه والعقل والتدبر والتذكر قد تكررت مرات عديدة٥٤، كما يتضمن القرآن أدوات الكتابة والقراءة، فوردت كلمات مثل مصحف، وقراطيس، وورق وقلم، ومداد- مرات عديدة ويدعو القرآن الكريم للقراءة بأمر صريح من الله عز وجل، ويذكر السيوطي أن الشريعة الإسلامية تعبر التعلم حقاً واجباً فأمرت بأدائه بدليل قول الله تعالى: "إقرأ باسم ربك الذي خلق" (العلق: ١). ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): إن الله لم يبعثني متعنتاً، إنما بعثت معلماً ومبشراً. فمن أراد الدنيا فليتعلم٥٥، ومن أراد الآخرة فليتعلم، ومن أرادهما

معاً فليتعلم". والتعليم بالنسبة للأطفال إلزامي في نظرة فقهاء المسلمين، يقول ابن حزم في كتاب الإحكام: "... وفرض الله عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون، أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم. ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم إما بأنفسهم، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتب أقواماً لتعليم الجهال٥٦".

عن معاذ بن جبل: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهلة قربة، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار في الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الآخرة، التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء".

** الوفاء:*

وهو يعني إحترام العقود والعهود سواء كانت بالقول أو بالفعل. ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، فى عهد في عصيان ولا يمين في مأثم، والعهود التي يرتبط بها المسلم درجات، أعلاها مكانة وأقدمها ذماماً العهد الأعظم الذي بين العبد وخالقه، ثم تتدرج في المنزلة لتشمل كل ما يخص حياة الفرد. وتكون الزوجة وفيه لزوجها، والزوج وفياً لزوجته، إذا احترم كل منهما "الميثاق الغليظ" الذي ربط بينهما بحياة الزوجية. وقد منح الإسلام عقد الزواج مزيداً من التشديد والرعاية، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما معناه: "إن أحق ما وفيتم به من شروط ما استحللتم به الفروج"، فالاستخفاف بهذا الرباط وما يترتب عليه من آثار – إنما يوفد العداوة والبغضاء بدلاً من السكينة والرحمة التي يفترض أن تقوم عليها حياة الزوجين كما أن الوفاء يقضي من الأبناء بر الوالدين والإحسان إليهما خاصة عند الكبر، جزاء لما عانوه من المشقة في التربية. ويؤكد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضرورة الوفاء بما يترتب على عقد الزواج من حقوق للزوجة قائلاً: "أيما رجل – يتزوج امرأة– على قل من المهر أو أكثر – ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان، وايما رجل استدان ديناً، لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد إله دينه، لقي الله وهو سارق٥٧". وإذا كانت الأمانة خلق من أخلاق الإسلام، فإن الأسرة المسلمة هي التي تلتزم بالأمانة،

وتربي أبناءها على هذا الالتزام: الأمانة مع الله، ومع النفس، ومع الجماعة، والمجتمع والوطن.

*** *الإخلاص:***

يقصد به أن يكون كل عمل المرء خالصاً لوجه الله تعالى، يقصد مرضاته، ويخشى عذابه، ويرجو رحمته، ويستعذ من نقمته. الإخلاص يشمل البعد عن الرياء ونوازع الأثرة وحب الثناء والتطلع إلى الجاه وبعد الصيت والرغبة في العلو والافتخار– هذه كلها تناقض الإخلاص كخلق إسلامي. وعلى مستوى الأسرة، نجد أنه شتان بين امرأة تتزين لزوجها لتدخل السرور إلى قلبه وامرأة أخرى تتزين حتى يقول الآخرون إنها جميلة، وشتان بين رجل يؤدي العبادات امتثالاً لأوامر الله عز وجل وتنشئة أبنائه على تقوى الله، ورجل آخر يؤدي العبادات حتى يقول عنه الآخرون إنه رجل البر والتقوى. وشتان بين رجل يتزوج امرأة لتكوين أسرة مسلمة وإعفاف نفسه، ورجل آخر يتزوج امرأة لعرض من أعراض الدنيا الزائلة. يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إذا كان يوم القيامة جئ بالدنيا فيميز منها ما كان لله وما كان لغير الله رمي به في نار جهنم[٨٥]". وعلى مستوى الأسرة أيضاً نجد أن اللذات التي تشتهيها الأنفس، إذا صاحبتها النية الصالحة والهدف النبيل تحولت إلى قربات إلى الله عز وجل. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها

وجه الله، إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك٦٠". وقال أيضاً: "ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة" معنى ذلك أن الأسرة المسلمة هي تلك التي تقوم حياتها على أداء الأعمال خالصة لوجه الله عز وجل، سواء كانت تلك الأعمال تتعلق بالعبادات أو بالمعاملات، وسواء كان ذلك يخص الأسرة كوحدة اجتماعية، أو يخص علاقة أفرادها مع المجتمع.

** أدب الحديث:*

يقصد بهذا الخلق الطيب، أن يقول المرء لأخيه خيراً إذا تكلم وأن يعود لسانه على الجميل من لما لذلك من تعبير حسن عما يجول في النفس، كما أنه فضيلة تسلك مع ضروب البر ومظاهر الفضل التي ترشح صاحبها لرضوان الله، لأن الكلام الطيب يبعد الإنسان عن اللغو، ويحفظ المودة والصداقة ويمنع كيد الشيطان، ويطفئ الخصومات. وفي القرآن تأكيد على أن "الإعراض عن اللغو" من صفات المؤمنين، وأن "نقول حسناً للناس"، وتأكيد أيضاً على "القول المعروف". وفي السنة النبوية الشريفة تأكيد على آداب الكلام من خلال العديد من المعاني التي وردت في أحاديث الرسول، لدرجة أن "حصائد اللسان هي التي تكب الناس على وجوههم في النار"، وأن المؤمن عندما يتحدث يجب أن يقول خيراً أو ليصمت"، وفي الحديث الشريف: "عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك٦١"، وفي الحديث أيضاً: "إن العبد ليقول

الكلمـة، لا يقولهـا إلا ليضـحك بهـا المجلـس، يهـوي بهـا أبعـد مـا بـين السـموات والأرض، وإن الرجل ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه٦٢" إن أدب الحديث "كخلق إسلامي"، يضفي على الأسرة مقومات الاحترام المتبادل والبهجة والسرور، ويعمـل علـى تـدفق الحـوار وتواصـله ويشـجع علـى التعبيـر عـن الآراء والعواطـف بأســلوب راق، ويعمــل علــى تمتــين الــروابط ويــدعم الصــراحة، ويحــول دون الخصـومات والمشـاجرات لأنـه يضـبط الانفعـال ويحـول دون تصـاعد الخلافـات الأسرية. إن أدب الحديث وقاية للأسرة المسلمة من إثارة الخلافات واستفحالها بين الزوجين، ويعتقد الباحث أن الزوجين لو التزما بأدب الحديث لما وجدت الخلافات الأسرية المستعصية، لأن أدب الحديث معناه عدم تبادل السباب والاتهامات التي قد تقضي إلى الاعتداء البدني يما يؤدي إلى الطلاق وتحطيم الأسرة، ويكفي أن نطالع الأخبار التي تنشرها الصحف عن هذا الموضوع بكل أسف.

* *سلامة الصدر من الأحقاد:*

يقصد بهذا الخلق الطيب أن يعيش المرء مبرأ من وسواس الضغينة والحقد، يحب للآخرين ما يحبه لنفسه،. إن الضغينة والحقد والحسد تؤدي إلى الخصومة

والغضب، والغل والاقتتال فتتفكك الروابط، وتتلمس عيوب الآخرين للتشنيع بهم، إنها تؤدي إلى الغيبة والنميمة وجميعها نهى عنها الإسلام لأنها تنزع الإيمان من القلب ويقول الله عز وجل: "ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين أمنوا ربنا إنك أنت رؤوف رحيم" (الحشر: ١٠). وعن عبد الله بن عمرو "قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد٦٣".

وتعبر سلامة الصدر من الأحقاد في مقدمة الأخلاق الإسلامية التي تتوقف كفاءة الأسرة على الالتزام بها، ولكي نوضح ذلك ببساطة نقول، إن الزوج الذي يضطرم صدره بالضغينة والحقد على الآخرين سوف يكون ناقماً على حياته بما في ذلك حياته الزوجية، وهذه النقمة تعبر عن نفسها في علاقته بالزوجة والأبناء فيتوتر جو الأسرة وتنتفي منه المودة والسكينة والرحمة، والمنطق نفسه بالنسبة للزوجة التي تقارن نفسها بالآخريات التي تعتقد أنهن أفضل منها، وقد يصل بها الأمر إلى معايرة الزوج أو تحميله بما لا يطيق، وقد يتعلق الأمر بموضوعات يستحيل تحقيقها الأمر الذي يؤدي إلى تدني الذات وسوء التوافق النفسي والاجتماعي لدى الزوجة، وينعكس ذلك على علاقتها بكل المحيطين بها بما في ذلك أفراد الأسرة، كما أنها في بعض الخلافات الزوجية – يصل الأمر بالطرفين– أو بأحدهما –إلى الكيد والرغبة في الإنتقام بوسائل غير إنسانية تعبر عن عدم سلامة الصدر من الأحقاد بما يعنيه ذلك من انتهاك حرمة الزوجية

وانتهاك "الميثاق الغليظ" الذي ارتبطا بموجبه، من جهة أخرى – ولتوضيح فكرة أن "سلامة الصدر من الأحقاد إنما هي من أخلاق الأسرة المسلمة– فإن الإسلام قد أمرنا بالعدل"، وهذا يعني العدل بين الأبناء في المعاملة حتى لا تضطرم الغيرة والحقد في نفوسهم على بعضهم البعض، كما يعني أن يكون الرجل عادلاً بين نسائه إذا كان متزوجاً بأكثر من واحدة، وذلك في حدود ما يمكنه أن يسيطر عليه، لأن عدم العدل بين النساء في هذه الحالة سيؤدي إلى تأجج نيران الغضب والبغض والكراهية، وسيملأ الصدور بالأحقاد.

** النظافة والأخذ بأسباب الصحة:*

يقصد بذلك أن يأخذ المسلم بكل أسباب النظافة للجسم والمكان الذي يقيم به لما في ذلك من التزام إيماني وحفاظ على الصحة النفسية والبدنية، وقد أكد القرآن الكريم على أهمية نظافة البدن بالوضوء والاغتسال، وحرم تناول ما من شأنه إلحاق الضرر بالجسم مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، كما حرم شرب الخمور وكافة أنواع المسكرات –فكلها ثبت بالدليل القاطع أنها تلحق بالجسم والعقل أبلغ الضرر. وفي الحديث الشريف تبدو العناية واضحة بنظافة الفم والأسنان، فالسواك سنة مؤكدة عن المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وفي الحديث: "تخللو فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة٦٤"، "إنه ليس شئ أشد علة الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما

طعاماً وهو قائم يصلي٦٥"، وهناك بعض الأطعمة ذات الروائح النفاذة غير المحببة التي رأي الإسلام أن يبتعد ’كلوها عن المجالس حتى لا تفوح رائحتهم، وفي ذلك حفاظاً على الكرامة الشخصية والشعور الجمعي. وعندما يؤكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على أهمية النظافة الشخصية بقوله "إن الله جميل يحب الجمال". فإنه قد بين وسائل ذلك: نظافة الثياب، تهذيب الشعر، التطيب بالعطر، الاغتسال بالماء، ومن الواضح أن الإسلام عندما أمر بالنظافة، فإن هذا الأمر لم يقتصر على المستوى الشخصي فقط، وإنما يشمل الجانب الاجتماعي والبيئة، كما أن الإسلام يقرن النظافة بالبيئة، لقد أمرنا (صلى الله عليه وسلم) بإماطة الأذى عن الطريق، وأمرنا بتنظيف أفنية المنازل "ونظفوا أفنيتكم" ونهى نهياً قاطعاً عن البول في الماء الراكد والماء الجاري، وكذلك عن البراز في الموارد. هذه الأمور جميعاً تؤكد حرص الإسلام على صحة ونظافة الفرد والمجتمع، كمان أنها تؤكد أن الإسلام قد سبق دعاة حماة البيئة اليوم. ولو كان العالم قد طبق تعاليم الإسلام لما ظهرت المشكلات البيئية التي تهدد حياة الإنسان في الوقت الحالي. ومن توجيهات الإسلام كذلك ما يتعلق بالوقاية والعلاج من الأمراض الفتاكة، لقد أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه إذا كان هناك الطاعون في بلد ونحن فيها فلا نخرج منها. كما أمرنا بالتداوي عند المرض مؤكداً أن لكل داء دواء، وحذر من اللجوء إلى الخرافات طلباً للشفاء "من علق تميمة فلا أتم الله له٦٦، ومن علق ودعة فلا أودع الله له"، نتبين من ذلك

كله أن الإسلام الحنيف هو دين النظافة، وعندما يؤكد النبي الكريم أن "النظافة من الإيمان"، فإن ذلك مبدأ عام ينسحب على كافة جوانب حياة الفرد، والنظافة ذات انعكاسات إيجابية مؤكده على المستوى النفسي والفيزيقي بما يتمكن معه الفرد من أداء الأعمال والعبادات فيفوز بالدنيا والآخرة. والأسرة المسلمة هي التي تأخذ بكل أسباب النظافة والصحة على المستوى الفردي والاجتماعي، وهي التي تربي أبناءها على النظافة، وتضرب المثل والقدوة للآخرين في هذا الشأن.

* الجود والكرم: الإسلام يدعو إلى البذل والعطاء ويحذر من الشح والبخل، ويتوعد البخلاء وذوي الشح بعذاب أليم، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كريماً جواداً على أهل بيته والفقراء والمحتاجين من المسلمين، وإذا كان الدين الإسلامي يدعو إلى الإنفاق، فإنه ينهى عن التبذير والإسراف ويشبه المبذرين "بالشياطين" كما أفاضت كتب الفقه الإسلامي في بيان فضل الإنفاق على النفس والأهل، فالإسلام يوصى بأن يكرم المرء نفسه ثم أهل بيته ثم ذوي رحمة وسائر الناس، وعى ضوء هذه القاعدة، فإن الأسرة المسلمة هي تلك التي تكفي حاجاتها من الحلال وتصون أفرادها عن مظاهر الفاقة دون إسراف ولا تقتير، وقد يحرص المرء على المال لأنه يريد ترك أولاده في ثراء يحميهم تقلب الأيام وأحداث الليالي وهذا قصد حسن، والمسلم مكلف بأن يصون ذريته وأن يمنع عنهم العيلة، وفي الحديث الشريف "…. لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس٦٧"، ولكن ذلك لا يعني أن يضحي الإنسان بنفسه

وبمرؤته وبرضوان الله عليه ليقتر من كبسه حتى يبقيه لأولاده، فالبخل بالحقوق وكنز الأموال للأبناء لا يمحو فقراً ولا يضمن عنى، ولا يقبل من صاحبه يوم القيامة عذر، إن المسؤول عن الأسرة عليه أن يتعرف المطالب المعقولة لأهلة وولده وأن ينفق عن سعة في قضائها، فليس من الدين أن يدع المرء زوجته وأبناءه في حال قلقة من الضيق والاحتياج ثم يضع ماله في مصرف آخر فروابط الأسرة أولى بالعناية وأحق بالتوثيق من غيرها٦٨. يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على أهلك٦٩، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك"، ويقول الرسول الكريم أيضاً "أن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسها كانت له صدقة٧٠" ومن خلال الجود والكرم كخلق إسلامي أصيل، يكون تمتين الروابط بين الأسرة والأقارب والجيران من الفقراء والمحتاجين، فالأقرباء أولى بالمعروف. وفي الحديث الشريف: "يا أمة محمد: والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة٧١"، والجود والكرم –كخلق إسلامي أصيل ينبغي أن تتمسك به الأسرة المسلمة– يتناقض مع الأثرة والأنانية بكافة مظاهرها، وهو الترجمة العملية لأخلاق الرحمة والإيثار التي أودعها الله في قلوب الآباء على أبنائهم. عن عائشة رض الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين: فأطعمتهما ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فمها تمرة لتأكلها بينهما، فاستطعمتها

ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي كان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها من النار ٧٢".

** الحلم والصفح:*

إن الأسرة المسلمة هي تلك التي يتمسك أفرادها بالحلم عند الغضب، والصفح عن أخطاء الآخرين وذلك في ضوء عدم التهاون في حدود الله عز وجل. وضرب لنا القرآن الكريم أروع المثل في قصة سيدنا هود مع قومه: "قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين. قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول الله رب العالمين. أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين" (الأعراف: ٦٦- ٦٨).وعن ابن مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: الذي لا تصرعه الرجال. قال: ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب٧٣" وقال رجل للنبي (صلى الله عليه وسلم): أوصني ولا تكثر عليّ لعلي لا أنسى، قال: "لا تغضب٧٤" وتحفل السنة النبوية الشريفة بالمواقف والأحاديث التي تنهي عن الغضب وتؤكد الصفح وعدم الحلم يرتبطان بتأجيج نيران العداوة والخصومة والرغبة في الانتقام بما ينهك الأنفس أو يزهقها، وفكك الروابط أو يقضي عليها، وبالتالي يضعف الفرد والجماعة والمجتمع، أما الغضب فإنه انفعال شديد الضرر بسبب التغيرات الفسيولوجية التي

تؤدي إلى زيادة كمية السكر في الدم، وتقلص العضلات وقد أكدت بحوث الطب "السيكوسوماتي" على أن الاضطرابات الانفعالية – ومن بينها الغضب – تؤدي إلى أمراض بدنية شديدة الخطر على الجهاز الهضمي والقلب والغدد، والمخ، وعادات الإخراج٧٥ الأمر الذي يكشف لنا عن عظمة الدين الإسلامي الحنيف الذي يأمرنا بالحلم والصفح، وألا "تغضب"، ولعل هذه الفكرة ذات دلالة شديدة الأهمية بالنسبة للأسرة، فكم من بيوت تحطمت بسبب نوبات الغضب المتبادلة بين الزوجين أو كليهما سريع الانفعال والغضب لأتفه الأسباب، وفي حمأة الغضب وثورته لا يكون هناك مجال للعقل والمنطق، فيقدم الفرد على تصرفات لها آثار مدمرة تشير الندم والشعور بالذنب فيما بعد، كما أثبتت الأبحاث النفسية الحديثة أن الأطفال الذين يعيشون في جو أسري مفعم بالغضب والتوتر تنمو فيهم نوازع الشر والعدوان، ويصبحون سريعي التهيج، ويفتدون الاتزان النفسي والثبات الانفعالي.

واستكمالاً لتوضيح الجانب الديني والنفسي فيما يتعلق بالغضب، لابد من التأكيد على أن الدين الإسلامي الحنيف عندما ينهى عن الغضب، فهذا لا يعني أن يكون الإنسان بارداً أو جامداً أمام أحداث الحياة ومواقفها، فقد يغضب الإنسان لدينه أو عرضه أو شرفه، أو أهله أو ممتلكاته، فهذا جزء من الطبيعة الإنسانية غالباً، كرد فعل مثير معين بما يمكنه من الاستجابة الصحيحة والمشروعة دينياً وخلقياً، وهذا عادة يكون في مواقف معدودة، وحتى في هذه المواقف (المعدودة)

لا يجب أن يستبد الغضب بالفرد ويصبح وكأنه كتلة من حمأ مسنون، يرتعش كالمجنون، يرغي ويزبد، ويلعن ويطعن. فيبوء بالخسران المبين. لقد حذرنا القرآن الكريم والسنة الشريفة من الوقوع في هذا الأمر المهين، وها هي الدراسات النفسية الحديثة تؤكد صحة هذا التحذير الذي أتى به الإسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان.

* *الصبر:*

تتسع مجالات الصبر لتشمل: الصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والصبر على النوازل. ويقصد بالصبر على الطاعة تحمل المشاق التي قد يكابدها الفرد وهو يقوم بالأعمال الطيبة والصالحة، أما الصبر على المعصية، فيقصد به مقاومة الإعراءات والشهوات التي يمكن أن يصيبها الفرد من جراء ارتكاب أعال يحرمها الشرع. بينما الصر على النوازل يعني أن يتحمل المرء ما ينزل به من مكاره في النفس أو الأهل أو المال أو الممتلكات... الخ. وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات المباركات التي تحض على الصبر وتؤكد جزيل ثواب الصابرين في المعاني الثلاثة المذكورة:

"وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" (طه: ١٣٢) "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وى تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وابتع هواه وكان أمره فرطا" (الكهف:

٢٨) "ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين" (الأعراف: ١٢٦) "ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين هم إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إله راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" (البقرة: ١٥٥- ١٥٧).

والأسرة المسلمة هي التي يتحلى أفرادها بفضيلة الصبر، وهي التي تنشئ أبناءها على هذه الفضيلة، وتحفل حياة الأسرة (يومياً) بالمواقف التي تتطلب الصبر، فتربية الأبناء وتعليمهم لابد أن يتم يقترنا بالصبر، والأزمات التي تواجهها الأسرة لابد من التعامل معها بصبر حتى تصبح المواجهة الفعالة ممكنة وعلاقة الأسرة بالأقارب والجيران تتطلب الصبر والتسامح، كما أن دور المرأة في المنزل، وكذلك دور الرجل خارج المنزل كلاهما يتطلب الصبر والمثابرة.

* القصد في الترف:

يقصد بذلك ألا يكون المرء عبداً لمظاهر الترف، وألا يغرق في الملذات، فلا يكون عبداً لشهواته وملذاته. لقد أمرنا الإسلام بألا ننسى نصيبنا من الدنيا بحيث لا تكون كل همنا أو مبلغ علمنا، كما أمرنا أن نأخذ بأسباب الخشونة، فإن النعم لا تدوم. ويندرج تحت هذه الفكرة العديد من المعاني والسلوكيات التي يجب أن تلتزم بها الأسرة لعل من أهمها ألا يكون الفرد عبد بطنه يعيش في الدنيا ليأكل ما لذ وطاب من الأطعمة الفاخرة بسفه وتبذير. لقد روي عن النبي (صلى الله

عليه وسلم) "أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة٧٦"، كما جاء في الحديث الشريف: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه٧٧"، ولا يعني ذلك بأية حال من الأحوال عدم الاستمتاع بالطيبات من الأطعمة، وإنما يعني الاستمتاع دون إسراف أو تقتير. والأسرة المسلمة هي التي يكون لباس أفرادها في حدود معقولة بما يحافظ على التجمل وحسن السّمت وستر الجسم وليس للمباهاة والاختيال والاستعراض، ولا داعي لإنفاق المال الكثير لشراء الملابس وتكديسها، وكذلك لا داعي لتضييع الوقت الطويل في ارتداء الملابس للحصول على نظرات الإعجاب "إنه لمن الحماقة أن يجعل الشاب من جسمه معرض أزياء يسير بها بين الناس، يترقب نظرات الإعجاب تنهال عليه من هنا ومن هناك إن هناك من يقضون الساعات الطوال في البيوت ليس لهم من عمل إلا استكمال وجاهتهم والاطمئنان إلى أناقتهم. ولو أنهم كلفوا ببذل هذا الوقت في التزيد من علم أو التفقه في دين لنفروا ونكصوا. إنهم يحسبون اتساق الملابس على أجسامهم شارة الكمال وكفى، وقد ندد الإسلام بهذا الطيش ونفر المسلمين منه٧٨"، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "من لبس ثوب سهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، وألهب فيه ناراً٧٩"، ومن الثابت أن الإسلام حرّم الحرير والذهب للرجال، وإذا كان قد أباحهما للنساء، فليس يسوغ لهن أ، يجعلن التزين شغلهن الشاغل الذي يستهلك الأوقات والثروات.. هذه بعض تعاليم الإسلام فيما يتعلق بالقصد في الترف، فهل تلتزم بها الأسرة حتى تكون بحق أداة ومجالاً لتطبيق جانب هام

من الشريعة الإسلامية. يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إياك والتنعم فإن عباد الله ليسو بالمتنعمين٨٠". وعن حذيفة قال: "نهى رسول الله أن نشرب في آنية من الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديبارج وأن نجلس عليه٨١".

** الحياء:*

إنه التحرج من فعل ما لا ينبغي على ضوء أوامر الإسلام ونواهيه. والحياء خلق من أخلاق الإسلام، كما أنه شعبة من الإيمان، ويضرب لنا النبي ٍ(صلى الله عليه وسلم) أروع المثل في الحياء، فعن أبي سعيد الخدري: "كان رسول الله اشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا رأي شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه٨٢". ويقول (صلى الله عليه وسلم): "الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما، رفع الآخر٨٣". وعندما يفقد المرء الحياء يهبط إلى الدرك الأسفل من البؤس والشقاء النفسي والاجتماعي. يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا لم تلقه إلا ميتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا

خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً، نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماًً ملعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام٨٤". ونوضح الفرق بين الحياء والخجل، في أن الأول يكون في إطار ما هو مشروع أما الثاني فإنه يكون في إطار ما هو مشروع وما هو غير مشروع على السواء، فعندما يخجل المرء عن نصرة المظلوم حتى لا يلومه الظالم يكون هذا خجلاً ممقوتاً، أما عندما يخجل المرء عن التقاعس عن نصرة المظلوم، فهذا هو الحياء المحمود، فهناك بون شاسع بين الحياء والجبن، إن الحساء هو الشجاعة في الحق والالتزام به، وهو الخجل من الباطل بمواجهته وعدم ارتكابه. والأسرة المسلمة هي التي تتمسك بالحياء في علاقتها بالله عز وجل، وفي العلاقة بين أفرادها، وعلاقة هؤلاء الأفراد بغيرهم. وهي التي يستحي فيها الأم عن التقصير في حقوق الوالدين. الأسرة المسلمة هي التي يستحي أفرادها من المعصية قولاً وفعلاً في كل تعاملاتهم.

** الترابط:*

يرتكز البناء الاجتماعي للأسرة علي بناء عضوي يتألف من صلات الدم التي تحدد علاقات وواجبات والتزامات متبادلة بين أفراد الأسرة ببعضهم البعض، علماً بأن صلات الدم (Consanguinity) هي المترتبة على العلاقات العضوية التي نطلق عليها اصطلاح القرابة (Kinship). من هنا فإن الأسرة جماعة أولية

من أفراد تعتمد العلاقة بينهم على صلات الدم التي بموجبها يكون كل فرد قريباً من الآخرين، وعلى الرغم من أن هذه القرابة تمتد إلى (أسرة التوجيه) أي الأسرة الأصلية لكل من الزوج والزوجة، إلا أن أهم ما يميز الأسرة هو الارتباط العضوي المباشر الذي يجعل أفراد الأسرة أقرب ما يكون إلى بعضهم البعض مقارنة بأي بناء عضوي آخر ٨٥.

فالترابط بين أفراد الأسرة له أساس عضوي اجتماعي، وله تقنين إسلامي يوضح الحقوق والواجبات والالتزامات والمسؤوليات المتبادلة بين هؤلاء الأفراد تجاه بعضهم البعض، ومن هنا فإن التعبير الفعلي عن قيم الترابط – إنما هو أجدر بأن يكون موجوداً وبالصورة الصحصحة بين أفراد الأسرة. لقد نبّهنا الإسلام إلى أن المؤمنين إخوة (أياً كانوا في أي مكان من بقاع الأرض) ونبهنا إلى أن المسلمين جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، لا شك أن الترابط الصحيح بين أفراد الأسرة (Family) هو المرتكز الأول لكي يمتد هذا الترابط ليصبح بين المؤمنين والمسلمين بصرف النظر عن جنسهم ولونهم ولغتهم، ووطنهم، والترابط الصحيح الذي نعنيه هو ذلك الترابط المستمد من الإسلام، والأسرة المسلمة هي تلك الأسرة المترابطة، والتي يتدعم ترابطها باستمرار حرص الوالدين على القيام بتربية الأبناء والاندماج معهم وإتاحة الفرصة لهم للنمو السوي في شخصياتهم، وهي التي يلتزم فيها الأبوان بواجباتهما تجاه الآخر وتجاه الأسرة، وهي التي تبث قيم الحب والانتماء بين

أفرادها، وتصبح عامل جذب وهي التي تبث قيم الحب والانتماء بين أفرادها، وتصبح عامل جذب يستقطب كل مكوناته فلا ينخرط أي منهم في جماعات شاذة أو منحرفة، وهي التي تشبع حاجات هؤلاء الأعضاء وتكون بؤر انطلاق وتبادل للعواطف والسكينة والمودة والرحمة وصلة الرحم. لا شك أن ذلك يستلزم قيام الأبوين بدورهما الوالدي، فلا يتركان الأبناء للخدم، ولا تكون الأثرة والأنانية لدى أي منهما بما يخل بواجباته ومسئولياته الأسرية. فإذا التزمت الأسرة بكل ذلك قولاً وفعلاً تصبح أداة ومجالاً لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

*** العلاقة بالآخرين:**

تتحدد علاقات التنظيم الاجتماعي على أساس مجموعة من المتغيرات يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند الدراسة ومن أجل فهم أفضل تقسم هذه العلاقات إلى قسمين: علاقات داخلية وعلاقات خارجية، وتذهب بعض الدراسات الاجتماعية إلى أنه في دراسة التنظيمات (كالأسرة) تبين أن المعرفة من الداخل فقط لا تكفي، لأن استبعاد التأثيرات الخارجية يؤدي إلى فصم الوحدة التنظيمية عن الإطار الذي تنتمي إليه والذي لا يمكن فهمها إلا من خلاله. كما أن قصر الدراسة على الخارج يؤدي إلى إهمال الميكانيزمات الداخلية التي تؤدي إلى عدم فهم إلى عدم فهم طبعة التفاعل وما يترتب عليه من سلوك أو اتجاهات، كذلك فإن عدم الربط بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية يؤدي إلى عدم إدراك

طبيعة المعوقات أو المشاكل أو التوترات أو التصدعات التي تصيب الوحدة التنظيمية٨٦ ومن المؤكد أن شخصية الأسرة والعلاقات بين أفرادها، تؤثر بدرجة أو بأخرى على علاقتها أفراد الأسرة بالآخرين مثل الأقارب والجيران وأفراد جماعات العمل والمهن والهوايات والأنشطة.. الخ، وكل هؤلاء لهم تأثير مباشر أو غير مباشر على أعضاء الأسرة، والإسلام دين ألفة وتجمع، ونزعة التعرف إلى الناس والاختلاط بهم تتضح في تعاليمه، ومن المعروف أن الإنسان اجتماعي بطبعه، والإسلام يقي هذه الفطرة، وفي الوقت نفسه فإن الإسلام أوجب اعتزال الفتن والفساد إذا لم يكن من الممكن تغييرها باليد ولا باللسان، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "المؤمن من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"٨٧. وعلى ضوء تعاليم الإسلام، ومتطلبات دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، يتعين أن يكون أصدقاؤها ممن يتسمون بالتقوى، وأن تكون هذه الصداقة خالصة لوجه الله مبرأة من الأعراض الدنيوية، فالعلاقة هنا أساسها التحاب في الله، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال الله عز وجل"المتحابون بجلالي في ظل عرشي، يوم لا ظل إلا ظلي"٨٨، وقد نبهنا القرآن الكريم، إلى أن الأخلاء يوم الحساب سيكونون أعداء إلا المتقين المتحابين في الله، وعندما يختار الفرد أصدقاءه من هذا النوع (المتيقن) سيكونون عوناً له في دينه ودنياه، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "المرأ على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"٨٩

ويوضح لنا الإسلام مدى فداحة الندم الذي يخبره الفرد إذا اختار أصدقاء سيئين وسار في ركابهم، قال تعالى: "ويوم يعض الظالم علة يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا، لقد أضنانى عن الذكر بعد إذ جائني وكان الشيطان للإنسان خذولا" (الفرقان: ٢٧- ٢٩)، إن الصديق السئ لأحد أفراد الأسرة قد يكون سبباً في تدميرها، لذلك فإن الأسرة تكون أداة ومجالاً لتطبيق الشريعة الإسلامية إذا التزمت وقامت التنشئة فيها على حسن اختيار الأصدقاء بحيث يكونون من ذوي التقوى، وفي هذا الإطار يكون تبادل الزيارات والهدايا والمنافع والمشاركة الوجدانية.

** العمل والانتفاع بالوقت:*

فالأسرة المسلمة هي التي تلتزم قولاً وفعلاً بقيمة العلم أداءً وإتقاناً، باعتباره حقاً لكل فرد من أفرادها وواجباً عليه، وهي التي تلتزم بمبدأ أن العمل شرف والعمل حياة وبدونه لن يكون هناك شرف أو حياة، ولعله من بين أهداف التربية الإسلامية إعداد الفرد لحرفة أو مهنة يكسب منها عيشه بطريق حلال طيب. وقد أمرنا الله عز وجل أمراً صريحاً بالعمل "وقل اعملوا" كما ورد نفس المعنى في سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين رأى عابداً انقطع للعبادة ليله ونهاره ويعتمد في معيشته على أخيه، فقال عليه السلام: "أخوه أعبد منه"، كما نبه الرسول الكريم إلى أن الفرد الذي يأخذ حبله ويحتطب به خير له من أن يسأل الناس

أعطوه أو منعوه، وقد قال ابن سينا "إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون عليه صناعته فيوجه لطريقه"، ولقد كان المسلمون قادة للغرب في إتقان المهن والحرف، كما كانوا معلميه في العلوم التجريبية كالطب والتشريح والفلك والهندسة والكيمياء وغير ذلك من العلوم، والأسرة المسلمة هي التي تنشئ أفرادها على أن يحرصوا أشد الحرص على استثمار الوقت فيما هو نافع ومفيد، إذ أن جميع ما ضاع من الإنسان قد يمكن استرداده أن تعويضه إلا الوقت، ومعنى ضياع الوقت ضياع العمر، والإنسان يوم القيامة سيسأل عن وقته فيما قضاه، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه٩٠"، وقد نظم الإسلام وقت المسلم حيث جعل الليل سكناً النهار عملاً ابتغاء فضل الله في السعي والكد من أجل الرزق الحلال، ويبارك الله في وقت العبد إذا استيقظ مبكراً، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "اللهم بارك لأمتي في بكورها٩١"، وروي عن فاطمة بنت المصطفى عليه الصلاة والسلام قالت: "مرّ بي رسول الله وأنا مضجعه متصحبة، فحركني برجله، ثم قال: يا بنية قُومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس٩٢". وقد أثبت العلم الحديث أن النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً له تأثير إيجابي ملموس على صحة الفرد بدنياً ونفسياً بما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وإتقان

العمل، ومن المؤسف أن العديد من الآباء يضيعون وقتهم فيما لا طائل منه، حين يقضونه في السهر والمعصية وكان أجدر بهم قضاء الوقت فيما هو أجدى وأنفع: عمل مفيد، تعلم العلم، مراعاة أمور المنزل، قراءة القرآن الكريم والتفقه في الدين، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، ويقيني بأن الأسرة الكويتية لو استثمر أعضاؤها وقتهم على النحو الصحيح لكان للمجتمع شأن آخر، فو أن المرأة الكويتية راعت الله في وقتها لأمكنها القيام بأعباء المنزل بسهولة وتفرغت لتربية أبنائها على خير وجه دون الاعتماد على الخادمات، ولو أن الشاب الكويتي عرف قيمة الوقت لأمكنه سد حاجات الأمة من القوى العاملة المؤهلة لتحقيق التقدم والتنمية في كافة المجالات دون الحاجة إلى عمالة أجنبية، إن حسن استغلال الوقت ليس بالشيء الصعب أو العسير وهو لا يتطلب تشريعاً أو قانوناً، وإنما ينبع من اقتناع ذاتي بأهمية الوقت وبالحكمة القائلة: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك وهذه المعاني بيّنها لنا الإسلام.

*** العزة:**

وهي تعني ألا يذل المرء نفسه، فالمسلم الحق هو الذي لا يضع نفسه موضع الضعف والهوان في علاقته بالآخرين، لدرجة أن الله يأمرنا –إذا لم نجد العزة والحرية والقوة في المكان الذي نقيم فيه– علينا أن ننشد هذه المعاني في مكان آخر، قال تعالى: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم

قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً" (النساء: ٩٧)، فالإنسان إذا لم يكن باستطاعته أن يعيش عزيزاً مكرماً في مكان وعلى الرغم من ذلك ارتضى لنفسه الهوان والذل وبقى في هذا المكان –إنما يكون مأواه النار، وقد استثنى القرآن الكريم من ذلك من لا يقدر على الرحيل "إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا" (النساء: ٩٨)، والإحسان هو طريق العزة. ونعني بالإحسان التمسك بالدين وإتقان العمل الذي نكلف به، وبعد ذلك لا يكون لأحد علينا من سبيل، فالنفع أو الضر بيد الله وحده، وليس هناك مخلوق كائناً من كان باستطاعته أن ينفعنا إلا بشئ قد كتبه الله لنا، أو يضرنا إلا بشيء قد كتبه الله علينا، والعزة تتحقق أيضاً بأن يضعف المرء عما في أيدي الناس، وإذا طلب شيئاً لا مفر من طلبه فعلية أن يطلبه بعزة نفس، ولا يقلق على رزقه أو يستبطئه، ولا يحاول أن يرضي أحداً بسخط الله، وغني عن البيان أن العزة لا تعني التفاخر والتكبر على الناس، ولا تعني عدم الاعتراف بذوي الفضل – فهذه كلها ليست من العزة في شيء، والأسرة المسلمة هي التي تلتزم بالتواضع والعزة وتنشيء أنباءها عليها، وهي الأسرة التي يضرب فيها الوالدان أوضح الأمثلة لعدم الخوف إلا من الله عز وجل، والعزة لا تتناقض مع الذلة في غير مسكنة عندما يتعامل الفرد مع المؤمنين، ولا مع خفض جناح الذل من الرحمة في العلاقة مت الوالدان فكل هذه الأمور من متطلبات عزة المؤمن.

** الرحمة:*

إنها صفة من صفات الخالق العظيم وهي تعني الرأفة والجود والعشاء والعطف والتعاطف واللين والرفق وعدم القسوة أو الغلظة. وإذا كان الله عز وجل هو "خير الراحمين" وأن رحمته سبقت غضبه، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول ".. إن أبعد الناس من الله تعالي القاسي القلب٩٣" ويقول: .. لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا يا رسول الله كلنا رحيم، قال ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها الرحمة العامة٩٤" وقال (صلى الله عليه وسلم): "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله٩٥" وقال: "من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء٩٦" ولقد أرسل النبي رحمة للعالمين، ووصف القرآن المؤمنين بأنهم رحماء بينهم. وفي بعض المواقف تكون الرحمة ظاهرها القسوة وباطنها الرأفة والمنطق والعدل فالأب قد يأخذ أطفاله بنوع من القسوة في بعض المواقف من أجل مصلحتهم ديناً ودنيا، والطبيب قد يجري العملية الجراحية للمريض لاستئصال شأفة المرض، والقاضي قد يحكم بالإعدام على الجاني والمستهتر حماية للمجتمع وتنفيذاً لأوامر الشرع والقانون....الخ.. في مثل هذه المواقف وما شابهها تكون القسوة قائمة على منطق المصلحة العامة أو الخاصة بفرد معين، وهي لا تناقض الرحمة التي يعنيها الإسلام، أو لم يأمرنا الله عز وجل بأن نكون أشداء على الكافرين؟ وقد نالت الحياة الأٍسرية والعائلية الكثير من الاهتمام فيما يتعلق بالتطبيق العملي لمعنى الرحمة، فالمودة والرحمة هي أساس العلاقة بين الزوجين، كما أن الله عز

وجل قد أودع الرحمة في قلوب الآباء والأمهات وأوصى الأبناء بالبر بالوالدين والرحمة بهما، ويشدد الإسلام على صلة الرحم تدعيماً للروابط والعلاقات الطيبة بين الأسرة وأقاربها، كما أوصى الإسلام بالرحمة باليتيم والبر به وكفالته، وكذلك بالخدم، ومما يروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما معناه أنه لم يسأل خادمه عن شيء فعله، أو عن شيء تركه لم تركته، وذلك على امتداد عشر سنين كاملة قضاها هذا الخادم عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولعل المستفاد من ذلك أن يكون الإنسان رحيماً مع الخدم، وأن يعطيهم حقوقهم كاملة غير منقوصة، وأن يعاملهم برفق دون إهدار لكرامتهم، ويصل الأمر بالإسلام الحنيف إن أن يؤكد الرحمة بالحيوان، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض٩٧".

** القوة:*

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير٩٨" فالإسلام دين القوة والمنعة، ويكون المسلم قوياً إذا تغلل الإيمان في نفسه واستمكن منها، "إنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه ككل، فإذا تكلم كان واثقاً من قوله، وإذا اشتغل كان راسخاً في عمله، وإذا اتجه كان واضحاً في هدفه، وما دام مطمئناً إلى العاطلة التي

تعمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلاً إلى نفسه، وقلما تزحه العواصف العاتية عن موقفه، إنه يثق فيما يرى أنه يثق فيما يرى أنه الحق، يعامل الناس على بصيرة من أمره، إن رآهم على الصواب والحق تعاون معهم، وإن وجدهم مخطئين نأي بنفسه واستوحى ضميره وحده٩٩"، والأسرة المسلمة هي التي يأخذ كل أفرادها بكل أسباب القوة، وتربي أبناءها على ذلك، والقوة التي نعنيها هي كل الأساليب المشروعة التي تتبع للفوز في الدنيا والآخرة، ويتصدر الإيمان هذه الأساليب جميعاً، فقوة الإيمان لدى الأب والأم تفرض الإيمان على الأبناء وتقنعهم به، فيصبح رضا الله مبتغاهم، لا يخافون سواه، وتربي فيهم العزيمة والمثابرة والإصرار على تحقيق أهدافهم المشروعة بالأساليب التي أقرها القرآن والسنة، وتبعدهم عن الهواجس والشك والريبة، إنهم في أعمالهم يتوكلون على الله ويأخذون بالأسباب بكل التصميم وكامل الإرادة ويبتعدون عن حياة الخلاعة والفجور، ويسلكون طريق النزاهة والاستقامة والمروءة وأداء الفرائض، إن القوة في الأسرة المسلمة تتضمن الصراحة في القول والعلاقات، والجرأة في الحق، فلا يخشى الأفراد في الله لومة لائم، ولا تضعف عزيمتهم تحت تأثير الإغراءات أو قوة الجبارين، والأسرة المسلمة – التي تربي أبناءها على الإيمان– إنما تبث فيهم فضائل النبل والكرامة وتبعدهم عن الرذائل والعجز والتلاعب وسائر الموبقات، فيحققون آمالهم في الحياة، ويسعون إلى مرضاة الله، بالإيمان والعلم والعمل، فيشبون أسوياء أصحاء، وبالتالي تتجنب الأسرة التعاسة النفسية والهوان الاجتماعي.

هذه بعض أهم الأخلاق الإسلامية التي تميز الأسرة المسلمة. إنها تمارس هذه الأخلاق، وتربي أبنائها على إتباعها في إطار الالتزام بالدين الإسلامي عقيدة ومنهج حياة، والأسرة بهذا تصبح مجالاً ووسيلة لتطبيق جوهر الشريعة الإسلامية، بما يعنيه ذلك من السمو النفسي الذي يتضمن يقظة الضمير ودماثة الخلق، فالأسرة بهذا تسمو بنفس كل فرد فيها، فيبتعد عن الصغائر ولا يعيش الحاضر وحده، وإنما يعيش مرتبطاً بالحاضر متحسباً للمستقبل يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

وشعور الإنسان بسموه النفسي هو الذي يعبر عنه بالضمير أو الأنا الأعلى "والذي يقف من الإنسان موقف الرقيب يدفعه لأداء الصالح منها وينهاه عن ارتكاب الصغائر، يحثه على مراقبة الله تعالى في كل أقواله وأفعاله، لا شك أن هذا يتطلب أن ينشأ الطفل في بيئة اجتماعية (أسرية) تلتزم بالإسلام قولاً وفعلاً بحيث يتشرب منها الطفل هذا الالتزام ولا سيما وأن غرائز الطفل واستعداداته وقواه النفسية هي المادة الخام والتي يمكن تشكيلها على نحو معين منذ البداية، فإذا أحسن توجيهها والإشراف عليها ورقابتها– كان الناتج شخصية إسلامية قوية مدركة لهدفها في المجتمع"

(خاتمة)

الأسرة هي المجال الأول الذي تتشكل من خلاله الشخصية، وهي مصدر الإشباع النفسي الرئيسي والتشكيل الديني الأولى، والإثراء الفكري الممتد، والأسرة هي خط الدفاع الأول ضد كل من يتناقص مع النمو الديني والأخلاقي لشخصية الفرد، وبالتالي فإن الأسرة المسلمة تقع عليها المسؤولية الأولي في تطبيق الشريعة الإسلامية، ويكون ذلك من خلال إعمال المعايير الإسلامية في الاختيار الزواجي حتى تؤسس الأسرة وفق مبادئ صحيحة منذ البداية، والالتزام بأخلاق الإسلام في تربية وتنشئة الأبناء وفق الأصول التربوية الإسلامية، والالتزام المتبادل بالحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة، ثم الالتزام بالأخلاق الإسلامية في تعامل الأسرة مع المجتمع، فالأسرة المسلمة هي التي تتخذ الإسلام عقيدة ومنهج حياة، بحيث يتم تطبيق الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لهذا الدين الحنيف، فإذا التزم الآباء والأمهات والراشدين من أبناء الأسرة بهذه الفكرة في حدود هذه الدائرة الاجتماعية (الأسرة) يكونون قد قاموا بواجبهم في تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن المؤكد أن في مقدمة واجبات الحكم الإسلامي وغاياته " بيان الدين للناس بياناً صحيحاً يدفع الشبهات عنه، وأخذ الناس به برفق، وحفظه من الملحدين والمعتدين، والانتصار لشريعة الإسلام إذا أراد أحد مخالفتها " لكن في معظم جوانب حياة الأفراد نجد أن التشريعات والسياسة لا

يمكنها فرض ما لم تستطيع أن ترسخه التربية والتنشئة، فنظم الأسرة ليست من صنع أفراد، ولا هي خاضعة في تطورها لما يريده القادة والمشرعون، وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعي واتجاهاته، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة لا يستطيع الأفراد سبيلاً إلى تغييرها أو تعديل ما تقضي به، وأن القادة والمشرعين ليسوا في هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وما هيئت له، فإن انحرفوا في تشريعهم هذا عن السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين، وبالتالي فإن القادة والمشرعين لا يمكنهم فرض أنماط معينة للعلاقات ونظم التفاعل، وأساليب التربية اليومية داخل الأسرة بما في ذلك من قواعد دينية تؤثر في الفكر والعقيدة والسلوك، فهذه الأمور خارج سيطرة القادة والمشرعين بينما هي في مقدور الأسرة، وتحت سيطرتها بحكم المعايشة اليومية والانتماء والترابط النفسي وغير ذلك من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. فإذا التزمت الأسرة بتعاليم الإسلام يكون تطبيق الشريعة الغراء عن اقتناع وفهم ومعرفة، والمسلم الحق هو الذي يطبق الشريعة الإسلامية على نفسه وأهله في السر والعلن،وليس في العلن دون السر، ومن المؤكد أن تنفيذ العقوبات . من قصاص وحدود وتعزير . هي من اختصاص الحاكم بحيث يقف الجميع عند حدود الله، فالمواريث مثلاً حدود الله، ولا يمكن ترك تطبيقها لوارث طامع أو وارث يفرضها بقوته على باقي الورثة، وإنما لابد من " سلطة " تضمن أن يصل

لكل ذى حق حقه. ولكن الشريعة الإسلامية ليست في هذا الإطار الضيق، بل إنه حتى في هذا الإطار لابد من الوعي العام، والالتزام الفردي والجماعي وهذه مسؤولية التنشئة بمؤسساتها المختلفة، والأسرة على وجه الخصوص .

فإذا أخذنا في اعتبارنا أن تطبيق الشريعة الإسلامية لابد أن يأتي من داخل الأسرة، فإن الدين الإسلامي الحنيف قد أحاط الأسرة بعناية فائقة، لقد وضع لها الضمانات التي تكفل لها القوة والاستمرارية وإنتاج وتربية الأجيال الصالحة ديناً ودنيا، كما حدد الحقوق والواجبات والمعايير والمسؤوليات والقيم الأخلاقية التي يجب أن تلتزم بها الأسرة بما يجعل منها وحدة اجتماعية تقوم على الالتزام والوفاء بحقوق الله والدين والفرد والمجتمع، وقد اهتم الدستور الكويتي اهتماماً واضحاً بالأسرة من المنظور الإسلامي، ففي المادة الثانية، ينص الدستور على أن " دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع، وفي المادتين التاسعة والعاشرة، ينص الدستور على أن " الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن، يحفظ القانون كيانها ويقوى أواصرها ويحمي في ظلها الأمومة والطفولة وكذلك " ترعى الدولة النشء من الاستغلال وتقية الإهمال الأدبي والجسماني والروحي " . بمثل هذا الأسلوب الجاد يؤكد الدستور . أقوي وثيقة تشريعية . أهمية وضرورة الإسلام في حياة الفرد والجماعة والمجتمع، وإيماناً من الدولة بهذه الأهمية صدر المرسوم الأميري بإنشاء اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق

أحكام الشريعة الإسلامية ونص المرسوم على أن مهمتها " وضع خطة لتهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مع مراعاة واقع البلاد ومصالحها، ولها في سبيل ذلك دراسة القوانين السارية في مختلف المجالات واقتراح ما تراه بشأنها لضمان توافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية. والواقع أن هذ١ه المهمة العظيمة (وضع خطة لتهيئة الأجواء) لابد لها من مداخل تنفيذ، يأتي في مقدمتها الأسرة، فما لم تقم الأسرة الكويتية بدورها في تربية وتنشئة الأبناء على الإسلام في تعاملاتهم، فإن الحديث عن تطبيق الشريعة يصبح غير ذي موضوع. في نهاية هذه الجولة هناك مجموعة من الاقتراحات التي يؤدي تنفيذها إلى تفعيل مساهمة الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية، فيجب أولاً تركيز الممارسات الثقافية في اتجاه تأصيل هوية المجتمع الكويتي باعتبار أن هذه الهوية تنعكس بالتأكيد على كافة التنظيمات الاجتماعية داخله، فالمجتمع الكويتي مجتمع عربي إسلامي، وهو في الوقت نفسه جزء من الإنسانية يتفاعل معها ويتأثر بها ويؤثر فيها، إ،ه جزء من العالم المعاصر بكافة خصائصه، ومن جهة ثانية، يجب القضاء على أي مظهر للتضارب في الممارسات بين الجهات المختلفة تجاه الأسرة، وهذه الفكرة في غاية الأهمية، لأن التناقضات التي ظهرت في الآونة الأخيرة، يمكن أن تفسد جهود تلك الجهات، فنحن نسمع مثلاً برنامجاً إذاعياً أو تليفزيونياً، أو نقرأ تحقيقاً في صحيفة أو مجلة مبيناً الآثار السلبية التي تترتب على زواج الكويتي من غير

كويتية ، ثم نفاجأ في نفس الوقت بتحقيق في أحدي المجلات، أو بخطبة في أحد المساجد بما يؤكد الآثار الإيجابية لمثل هذا الزواج وشرعيته، فلماذا لا يكون هناك توحد في المنطق، ويكون لدينا الجرأة لحسم الموضوعات الخلافية المتعلقة بالأسرة حتى لا يقع المواطن فريسة للتشكك وعدم التصديق، بدلاً من ترك الأمور على أعنتها؟ وهناك عشرات القضايا بشأن الأسرة لا يوجد بعد الحد الأدنى من الاتفاق حولها بسبب التضارب غير المبرر في المواقف بل والممارسات. الاقتراح الثالث الذي نقدمه يتمثل في إنشاء مراكز للإرشاد الأسري المتخصص، تتولى إعداد الشباب لممارسة دور الوالدية، وتبصرهم بالثقافة النفسية والاجتماعية والتربوية فيما يتعلق بالاختيار الزواجي والتنشئة والتنظيم السليم للمناخ الأسري بحيث يكون مواتياً (إيجابياً)، أما الاقتراح الرابع، فهو نشر وترسيخ الثقافة الإسلامية بشأن الأسرة من خلال برامج التربية، والتعريف بالنتائج الإيجابية التي تعود على الفرد والجماعة والمجتمع من جراء الالتزام بالأسس والمبادئ التي أقرتها الشريعة الإسلامية بشأن الأسرة .

مراجع وهوامش الفصل الرابع

(١) صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر. ط٢ (بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٤) ص ٢١٦ .

(٢) حسن الساعاتي، بحوث إسلامية في الأسرة والجريمة والمجتمع (القاهرة. مكتبة سعيد رأفت. ١٩٩٢) ص٨ .

(٣) البخاري، جـ٣ ، ص١٥٥ .

(٤) صحيح أبي عبدالله البخاري، جـ ٣ ، ص ١٥٠ .

(٥) رواه الترمذي .

(٦) رواه الطبراني .

(٧) محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع (القاهرة. دار الفكر العربي. ١٩٦٥) ص ٦٨ .

(٨) رواه ابن ماجة من حديث أم المؤمنين .

(٩) سامية حسن الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٨) ص١٠٤ .

(١٠) رواه أبو داود والنسائي .

(١١) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير. جـ٦ . ص٣٩٧ .

(١٢) كمال البوهي، دعوة إلى السعادة (القاهرة ، دار وهدان للطباعة والنشر، د.ت) ص١٥٠ .

(١٣) عجيل جاسم النشمي، وسائل التربية الإسلامية. مجموعة أبحاث مؤتمر تهيئة الأجواء التربوية لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. (المحور الأول). الكويت . الديوان الأميري . ذو الفعدة ١٤١٣هـ . إبريل ١٩٩٣ . ص . ٣٩ .

(١٤) رواه الترمذي .

(١٥) رواه مسلم .

(١٦) رواه مسلم .

(١٧) رواه الترمذي .

(١٨) رواه ابن عباس .

(١٩) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ط١٠ (القاهرة: دار الشروق ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م) ص ١٧٥ .

(٢٠) فاطمة عمر نصيف، حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة. ط١، سلسلة رسائل جامعية، رقم ٢٤ (جدة: مؤسسة تهامة، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م) ص ٢٦٢ .

(٢١) رواه أبو داود .

(٢٢) رواه البخاري .

(٢٣) رواه مسلم .

(٢٤) رواه البخاري .

(٢٥) فاطمة عمر نصيف، مرجع سابق، ص ٢٨٤ .

(٢٦) محمود ابراهيم سليم، منهاج تربية الطفل المسلم (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت) ص٣٠ – ٤٠ .

(٢٧) رواه البخاري .

(٢٨) أحمد حمد أحمد، الأسرة: التكوين، الحقوق والواجبات: دراسة مقارنة في الشريعة والقوانين (الكويت: دار القلم، ١٩٨٣) ص ١٩٨ .

(٢٩) رواه ابن ماجة وأحمد في مسنده .

(٣٠) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

(٣١) أحمد حمد أحمد، مرجع سابق، ص ٢١٨ .

(٣٢) رواه أبو داود عن أبي الدرداء بإسناد حسن .

(٣٣) أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص٢٨٢ .

(٣٤) خليفة أحمد العقيلي، الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية (بنغازي ، ليبيا: دار الكتاب الوطنية، ١٩٩٠) ص١٦٧ .

(٣٥) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير .

(٣٦) أخرجه مسلم وأبو داود .

(٣٧) أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص ٢٥٦ .

(٣٨) كمال البوهي، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٣٩) أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص ٣١٣ .

(٤٠) رواه مسلم عن ابن عمر .

(٤١) عماد الدين خليل، ملاحظات في تاريخ المجتمع الإسلامي (القاهرة: مكتبة النور، ١٩٨٩) ص ٤ – ٥ .

(٤٢) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس. ط٥ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣) ص ٤٩ .

(٤٣) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي .

(٤٤) رواه أحمد .

(٤٥) رواه أحمد .

(٤٦) رواه مسلم .

(٤٧) رواه البخاري .

(٤٨) شارلز شيفر @ هوارد ميلمان، مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ترجمة نسيمة داود @ نزيه حمدي، ط١ (عمان: الأردن، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩) ص٤٥ .

(٤٩) رواه أبو داود .

(٥٠) رواه أحمد .

(٥١) رواه البخاري .

(٥٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، ط١ (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧) ص٥١ .

(٥٣) رواه مسلم .

(٥٤) فتنت مسيكة بر، حقوق المرأة بين الشرع الإسلامي والشرعة العالمية لحقوق الإنسان (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٩٢) ص١٩٠ .

(٥٥) رواه البخاري .

(٥٦) فتنت مسيكة بر، المرجع السابق، نقلاً عن: ابن حزم، كتاب الإحكام في أصول الأحكام .

(٥٧) رواه الطبراني .

(٥٨) رواه البيهقي .

(٥٩) رواه البخاري .

(٦٠) رواه أحمد .

(٦١) رواه أحمد .

(٦٢) رواه البيهقي .

(٦٣) رواه بن ماجه .

(٦٤) رواه الطبراني .

(٦٥) رواه أحمد .

(٦٦) رواه الحاكم .

(٦٧) رواه البخاري .

(٦٨) محمد الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص١٢٧ .

(٦٩) رواه مسلم .

(٧٠) رواه البخاري .

(٧١) رواه الطبراني .

(٧٢) رواه مسلم .

(٧٣) رواه مسلم .

(٧٤) رواه مالك .

(٧٥) محمد عثمان نجاتي، علم النفس والحياة، ط١٥ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣) ص١٤٦ ،

(٧٦) رواه البزار .

(٧٧) رواه الترمذي .

(٧٨) محمد الغزالي، مرجع سابق، ص١٤٦ .

(٧٩) رواه ابن ماجه .

(٨٠) رواه أحمد .

(٨١) رواه البخاري .

(٨٢) رواه مسلم .

(٨٣) رواه الحاكم .

(٨٤) رواه ابن ماجه .

(٨٥) زيدان عبدالباقي، الأسرة والطفولة، مرجع سابق، ص٣٨ .

(٨٦) سناء الخولي، الأسرة في عالم متغير، مرجع سابق، ص ٢٠٤ .

(٨٧) رواه الترمذي .

(٨٨) رواه أ؛مد .

(٨٩) رواه أبو داود .

(٩٠) رواه الترمذي .

(٩١) رواه أبو داود .

(٩٢) رواه البيهقي .

(٩٣) رواه الترمذي .

(٩٤) رواه الطبراني .

(٩٥) رواه البخاري .

(٩٦) رواه الطبراني .

(٩٧) رواه البخاري .

(٩٨) رواه مسلم .

(٩٩) محمد الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص٩٩ .

(١٠٠) انظر في ذلك: عبدالناصر توفيق العطار، تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٣) ص١٣٦ .

(١٠١) محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣) ص ١٣٦ .

(١٠٢) على عبدالواحد وافي، الأسرة والمجتمع، ط٧ (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والشر، ١٩٧٧) ص٤ .

الفصل الأول

حول مشروع استكمال – تطبيق

الشريعة الإسلامية في الكويت

أولاً : تجربة فريدة ونقلة حضارية

ثانياً: قضية الذات الكويتية

ثالثاً : التيارات الفكرية المضادة –

أ- الحق أحق أن يتبع.

ب- الناس أدرى بشئون دنياهم.

رابعاً : أوجه الاختلاف

أ- مناهج التطبيق.

ب- ظروف التطبيق.

ت- مسئولية التطبيق.

ث- مستويات التطبيق ومداخله.

ج- نتائج التطبيق .

خامساً: تاريخ النظام يثبت صدق التوجه وسلامة النتائج

سادساً: أين الحقيقة ؟

سابعاً: الاسرة : ذلك العملاق الغائب – مصادر ومراجع الفصل الأول.

الفصل الثانـي

الشريعة الإسلامية ودلالتها للاسرة

أولاً مفهوم الشريعة الإسلامية.

ثانياً : مقاصد الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة –

ثالثاً: خصائص الشريعة الاسلامية ودلالتها لدول الأسرة في التطبيق :

١- الربانية

٢- الأخلاقية

٣- الواقعية

٤- الإنسانية

٥- التناسق

٦- الشمول

رابعاً : الاسرة دائرة اهتمام الدين الإسلامي

أ- أهمية الدين في حياة الاسرة

ب- خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة – مراجع الفصل الثاني

الفصل الثالث

الاسرة : سياق اجتماعي فاعل في التأثير على الشخصية

أولاً : مفهوم الأسرة ووظائفها –

ثانياً : قوة الرابطة الأسرية

ثالثاً : دور الأسرة في إشباع حاجات الفرد

أ- الأسرة وإشباع حاجات الأبوين

ب- دور الأسرة في إشباع حاجات الطفل. – مراجع الفصل الثالث

الفصل الرابع

الاسرة : تنظيم اجتماعي فاعل في تطبيق الشريعة الإسلامية

المبحث الأول : تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي

المبحث الثاني : الاسرة والتربية الإسلامية للابناء : –

- **التربية البدنية**
- **التربية العقلية**
- **التربية الايمانية**
- **التربية الوجدانية**
- **التربية الاجتماعية**

المبحث الثالث : دور الأسرة في غرس مفاهيم العقيدة – وممارسة العبادات الإسلامية

المبحث الرابع : دور الأسرة في تطبيق الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد –

أ– الحقوق والواجبات المشتركة للزوج.

ب– حقوق الزوج على الزوجة.

ت– حقوق الزوجة على الزوج

ث– حقوق الأبناء على الوالدين

ج– حقوق الوالدين على الأبناء

المبحث الخامس : دور الأسرة في تطبيق – الأخلاق – المعاملات – الصدق – الأمانة – تعلم العلم – الوفاء – الإخلاص – أدب الحديث – سلامة الصدر من الأحقاد – النظافة والأخذ بأسباب الصحة – الجود والكرم – الحلم والصفح – الصبر – القصد في الترف – الحياء – الترابط – العلاقة بالآخرين – العمل والانتفاع بالوقت – العزة – الرحمة – القوة – (خاتمة) – مراجع وهوامش الفصل الرابع.